جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم الآثار

السنة الثالثة

الفصل الثاني

أملية: الآثار والحضارة الفارسية

د. سلافاء علي حمود

جغرافية إيران:

تقع إيران، بلاد فارس القديمة، (الشكل:١) في جنوب غربي قارة آسيا. يحدّها بحر قزوين وجمهوريات أذربيجان وأرمينيا والاتحاد الروسي وتركمنستان وكازاخستان من الشمال؛ وأفغانستان وباكستان من الشرق؛ وتركيا والعراق من الغرب؛ والخليج العربي ومضيق هرمز وخليج عُمان (بما في ذلك المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وقطر وعمان والإمارات العربية المتحدة)، والزاوية الشمالية الغربية من المحيط الهندي من الجنوب[١].

تتألّف إيران من هضبة شاسعة مثلثية الشكل، ذات أحواض كبيرة كثيرة، وهي تقع بين سلسلتين جبليتين تمتدان من مرتفعات أرمينيا شمالي الهلال الخصيب. تمتد السلسلة الأولى، وهي سلسلة جبال البرز (Alburz)، شرقاً على طول جنوب بحر قزوين، حيث تصل إلى ذروتها في قمة دماوند Demavend (نحو ١٩٠٠٠قدم)، وتستمر في الامتداد شرقاً، ثمّ تتقلص في سهوب(٢) خراسان، حيث تلتقي بجبال هندوكوش في الاتجاه المعاكس، من بامير. بينما تنحني السلسلة الثانية، وهي سلسلة جبال زاغروس، بلطف نحو الجنوب الشرقي، ثمّ تنحني أكثر نحو الجنوب. وتلتف حول الحافة الشرقية لبلاد بابل الخصيبة، مشكّلةً حاجزاً يصعب عبوره على الشاطئ الشرقي للخليج العربي، وبعد أن تتقدم فوق المناطق القاحلة على طول المحيط الهندي، تنعطف بشكلٍ حاد شمالاً عبر بلوشستان وأفغانستان لتنضم إلى جبال أخرى منتشرة، مثل جبال هندوكوش[٣].

تُقسم هضبة إيران إلى عدد من المناطق المتميزة. وقد كانت منطقة خوزستان (سهول سوسيانا القديمة) في الجنوب الغربي، والتي تسمّى عيلام في الدراسات الحديثة أقرب جيران بلاد الرافدين، جغرافياً وسياسياً. وقد تطوّر مركزها الرئيسي، وهو سوسة، جنباً إلى جنب مع مدن جنوبي بلاد الرافدين في أواخر الألفية الرابعة وأوائل الألفية الثالثة قبل الميلاد. أمّا المدينة العيلامية المهمة الأخرى، وهي أنشان Anshan (تل مليان Tal-i-Malyan اليوم)، فكانت تقع في المرتفعات الجنوبية الشرقية، في منطقة فارس، ولكنّها حافظت على علاقات قوية مع سكان المناطق المنخفضة على مرّ العصور[٤].

---

[1] Mojtahed-Zadeh P., 2007: "Iran: *An Old Civilization and a New Nation State*", in, ***FOCUS on Geography***, Vol.49, No.4, p.20.

[٢] **السهوب:** أراضي ذات أعشاب قصيرة.

[3] Cameron G. G., 1936: *History of Early Iran*, The University of Chicago Press, Chicago. Illinois, p.1., (Girshman R., 1954: **Iran, From the Earliest Times to the Islamic Conquest**, Great Britain, p.21.)

[4] Benzel K., Graff B. S., et als. 2010**: Art of the Ancient Near East**, by The Metropolitan Museum of Art, New York Published by The Metropolitan Museum of Art, New York, pp.20-21.

الشكل: ١ خريطة جغرافية لإيران

الهند-أوربيون

على تلك الرقعة الجغرافية التي تمتد على ساحلي بحر قزوين والبحر الأسود شمالاً وعلى مشارف الخليج جنوباً، كانت ثمة دولة هي **دولة فارس**، وكان ثمة حضارة عريقة يرجع تاريخها إلى آلاف خمسة من الأعوام. **ومن قبل أن تخرج فارس إلى**

الوجود كان ثمة دول أربع شرقية هي: خوزستان (عيلام) وبابل وآشور وأورارتو[٥]، كان لها هي الأخرى حضارتها.

ومع بداية الألف الثالث قبل الميلاد وفي سهل سوسيان/سوزيان كانت نشأة دولة خوزستان (عيلام)، التي اجتذبتها أرض الرافدين، حتى عدت وطنها امتداداً لتلك الأراضي، وعبر الغزو وجدت حضارة بلاد الرافدين طريقها إلى تلك البلاد الناشئة عيلام، وكان النصر الذي كُتب للعيلاميين على الأكديين حافزاً لسكان الجبال الذين كانوا ينزلون لولوبي[٦] وغوتي[٧] إلى تحقيق نصر مثله، فإذا هم كذلك يغيرون على بابل وينتزعونها من أيدي أربابها، ويشرفون بهذا على الطريق المؤدي إلى غربي إيران حيث تمضي القوافل التجارية ما بين فارس وبين بلاد الرافدين.

وثمة شعوب أخرى روسية أو تركستانية أو غيرها، ممن كانوا أكثر إيغالاً في قلب آسيا الوسطى، كانت على حظ من الثقافة، وكانت لها نقلة إلى الشمال الشرقي من إيران حيث منطقة حصار على مقربة من دمغان.

وقرب منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد، كانت الإمبراطوريات الثلاث المصرية والآشورية والحيثية المتجاورة الحدود قد بلغت مرحلة السلام القائم على توازن القوى، وإن لم يحل هذا بينهم وبين تبادل لكمات عاصفة بين آونة وأخرى، وما يكاد الصراع يتوقف حتى يهرعوا إلى تبادل السلع فيما بينهم وحملها مع ما يحملون من فكر وحضارة إلى جيرانهم الكاشيين[٨]، الذين تمثلوا حضارة بابل بعد احتلالهم لها، وكذلك الدويلات المينوية في كريت والمجتمعات السيكلادية في جزر بحر إيجه. ولكن الخطر ما لبث أن أحدق بهذا الثالوث المسيطر وخاصة من جانب جحافل المهاجرين المتقاطرين على بلادهم من البدو المحاربين ساكني البراري في وسط أوراسيا الذين لا يكفون عن السلب والنهب، والدائبي الزحف والحركة بحثاً عن مراع جديدة أو أراض صالحة للزراعة. وإن فروا هم الآخرون أمام من يفوقهم بربرية وعنفاً. ذلك أنه لم يكن يستقر حشد من هذه القبائل في منطقة حتى تلاحقهم هجمات قبائل أخرى تنحيهم عن مكانهم أو عن شطره الأكبر بعد أن تحصرهم في مساحة ضيقة محدودة، أو تمتزج بهم امتزاجاً، فإذا بالأخلاط الشعوبية تتكاثر خلال عمليات الإزاحة والتنحية والامتزاج التي لم تتوقف خلال فترة طويلة، والتي تركت

---

[٥] **أورارتو/أورارات:** نشأت مملكة أورارتو أثناء النصف الثاني من القرن التاسع ق.م في المنطقة المحيطة ببحيرة فان، وامدت خلال القرن ٨ ق.م من بحيرة أورمية جنوباً حتى شواطئ البحر الأسود شمالاً، ومن نهر الأراكس شرقاً إلى شمالي سورية حتى حلب وآسيا الصغرى غرباً، غير أن الميديين استولوا عليها في أوائل القرن ٦ ق.م. وكانت أورارتو مركزاً هاماً لإنتاج المعادن.

[٦] **اللولوبي:** شعب جبلي كان يسكن الجزء الشمالي من جبال زاغروس. وينتمي إلى الشعوب الزاغرو عيلامية.

[٧] **الغوتيون:** شعب جبلي كان يعيش في الجزء الأوسط من جبال زاغروس. وهو الذي أسقط حكم الأكاديين حينما أغار على منطقة وادي الرافدين في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد.

[٨] **الكاشيون**: استولوا على بابل بين ١٧٤٦، ١١٦٩ق.م.

أثرها كذلك فيما يدعى بالشعوب الهند-أوربية الذين كانوا يعيشون لوقت طويل في مناطق متجاورة.

كان الهند-أوربيون أقواماً شبه رحل، لا يستقرون في مكان. وقد تفرقت مجموعاتهم في فترات متتالية، ويقع موطنهم في أواسط آسيا الذي بدأت منه الهجرات المتجهة إلى المنطقة الواقعة شمالي البحر الأسود والقوقاز، وهي المنطقة المسماة "أريانا فيجو" أي موطن الآريين الذين ندعوهم الآن الهند-إيرانيين.

كان الإيرانيون شعبة من الجنس الهندو أوربي المعروف بالجنس الآري، أي النبيل. استقر الإيرانيون بشرق أوراسيا سواء في إيران أو في وديان نهر السند أو في تركستان الصينية.

ولم يرد ذكر للإيرانيين قبل القرن التاسع قبل الميلاد، وإن ظهر اسم بارسو أو البارسيين الذين كانوا يقطنون جبال كردستان، كما ظهر لأول مرة اسم الماداي أو الميديين سكان السهل عام ٨٣٧ ق.م خلال حملة قام بها الملك الآشوري شلمنصر الثالث. وبعد مائة عام من ذلك التاريخ غزا الميديون الهضبة الفارسية مؤسسين امبراطورية ميدية.

وهكذا نجد أن الشعوب التي استوطنت إيران، كانوا قد نزحوا إلى تلك الأرض في الألف الأول قبل الميلاد، يدلنا على ذلك أننا لم نجد ذكراً للفرس والميديين في تاريخ إيران إلا مع النصف الثاني من القرن التاسع حين نزلوا غربيها، وأن هؤلاء قوقازيو الأصل نزحوا إلى إيران سالكين الطريق نفسه الذي سلكه من بعدهم السقيثيون/السكوذيون[٩] والسيمريون بقرون ثلاثة.

ظهرت حينذاك أربعة مراكز من إيران هي: سيالك وخورفين وحسنلو وأملاش. وكانت أسبق هذه الأربعة إلى الظهور سيالك (جنوبي طهران). ولكنها كلها كانت تشارك في حضارة لا يختلف طابعها على الرغم من اختلاف بيئاتها. ولم يمضِ على ظهور هذه المراكز الأربعة وقت طويل حتى برز إلى الوجود مركز حضاري خامس في لورستان، التي كانت تقع على هضبة زاغروس إلى الجنوب من كرمنشاه ومملكة إيليبي القديمة[١٠].

وترجع قبائل اللور هذه فيما يبدو إلى أصل سيميري، واستقر بعضهم في لورستان حيث وجدوا هضبة زاغروس بوديانها الضيقة المعزولة خير مكان لهم ولخيولهم.

---

[٩] **السكوذيون:** شعب من أصل إيراني وفد على غرب آسيا من جنوبي روسيا عبر القوقاز. وقد أغاروا على آسيا الغربية خلال القرن الثامن ق.م. وهم شعب من البدو الرحل. تم ردهم نهائياً إلى شمال القوقاز في أوائل القرن السادس ق.م.

[١٠] إيليبي: شعب كان يسكن المنطقة الممتدة جنوبا إلى وادي نهاوند وسلسلة جبال لورستان، وشمالاً إلى الطريق الحالي الموصل بين كرمنشاه وهمدان.

واختلطوا بسكان مملكتي مانا وإيليبي، وإذا الشعبان الميدي والسيميري يغدوان شعباً واحداً. هبّ الميديون للتحرر من قبضة الآشوريين حين احتلوا إيران سنة ٦٧٣ ق.م. وكان قائدهم قشتاريتي، وكانت أرضهم التي مهدوا للثورة على ربوتها هي لورستان[١١].

أشرقت حضارة الميديين منذ امتدت إمبراطوريتهم حتى آسيا الوسطى إثر انتصارهم على الآشوريين خلال القرن السابع ق.م تحت قيادة سياكسارس بن قشتاريتي. وخلال الأعوام ٦٨١و٦٦٩ ق.م زحفت قوات الآشوريين إلى وسط إيران بهدف الاستيلاء على خيل لجيش الملك الآشوري (أسرحدون). ومن ثم في عام ٦٢٥ق.م وحّد سياكساريس القبائل الميدية وبعض العشائر السكوذية وأقوام المانا من غير الميديين في دولة موحدة، واستولى على آشور وبعد عامين على نينوى. وسيطر الملك الميدي على شطر كبير من إيران وشمالي آشور وأجزاء من أرمينيا حيث كانت تقوم من قبل مملكة أورارتو[١٢].

الميديون والفرس:

من بين الرحل الإيرانيين المتعددين الذين بدأوا بالتحرك إلى الأراضي الإيرانية من شمال-الشرق وشمال-الغرب في الألفية الثانية قبل الميلاد، كان مقدراً للميديين والفرس أن يشكلوا إمبراطورية محلية وأخرى عالمية. في بداية القرن الثامن قبل الميلاد اتحدت القبائل الإيرانية الميدية تحت قيادة أحد زعمائها (ديوكو) والذي سماه الإغريق (ديوسيس). كان ديوكو إذن مؤسس الدولة الميدية الوليدة، والتي كان عليها أن تصارع من أجل البقاء جيراناً أقوياء مثل آشور وأورارتو (أرمينية) والسكيثيين الذين كانوا أيضاً من عرق إيراني. كانت عاصمة الميديين إكباتانا وهي الآن مدفونة تحت مدينة همذان. وكان حفيد ديوكو (سياكزاريس/هووخشتره) في وقت من الأوقات تابعاً للسكيثيين لكنه في نهاية الأمر عزز موقفه بهزمهم وإخضاع بعض المناطق حول بحيرة أورميا فيما يعرف الآن بأذربيجان.

أثناء ذلك في وقت ما من القرن الثامن الميلادي تحركت القبائل الإيرانية الفارسية نزولاً من شمال-الغرب واستقرت في جبال بختياري الغربية الوسطى. شكلوا دولة تابعة للميديين، وتحت حكم (تييسبيس/جيش بيش) ملك مدينة أنشان مدوا حكمهم إلى جنوب-الشرق على حساب العيلاميين، وهي حضارة محلية قديمة. أما الأرض

[١١] عكاشة، ثروت، ١٩٨٩: *موسوعة تاريخ الفن: العين تسمع والأذن ترى، الفن الفارسي القديم*، الجزء الثامن، الطبعة الأولى، دار المستقبل العربي، مصر الجديدة، ص ص.١١-١٧.
[١٢] المرجع السابق نفسه، ص ص.١٠٥-١٠٦.

المنتزعة من العيلاميين فأصبحت تعرف باسم (بيرسيس/بارسا، وهي محافظة فارس الحديثة) على اسم سكانها الجدد. وهكذا أصبح تييسبيس ملك بيرسيس وأنشان، إلا أنه قبل مماته في ٦٤٠ق.م قسّم مملكته بين ابنيه كورش وأريارمنه، فأصبح قورش ملك أنشان، وأريارمنه حاكماً على الجزء الجنوب-شرقي من بيرسيس. ولم تتوحد المملكتان الفارسيتان الصغيرتان إلا في زمن قمبيز الأول ملك أنشان ووالد قورش الكبير. كان قمبيز تابعاً لسياكزاريس الميدي الذي كان في هذا الوقت قد هزم الآشوريين وحطم نينوى للأبد، ومد امبراطوريته من ساحل قزوين إلى عيلام.

ولم يكتب للإمبراطورية الميدية -التي نمت وأصبحت كبيرة وقوية تحت حكم سياكزاريس- أن تستمر طويلاً، وكان عهد ابنه استياجس (أزدهاك ٥٨٤-٥٥٠ق.م) عهد سلم نوعاً ما، إلى أن أطاح به قورش الكبير حفيده من ابنته مندانه التي كانت متزوجة من الملك الفارسي قمبيز الأول. جدير بالذكر أن ثورة قورش وانتصاره على أزدهاك كانت أيضاً قصيرة وحاسمة[١٣].

ومع انتصار ملك فارس، قورش الثاني، على الملك الميدي، أستياجس بن سياكسارس، في عام ٥٥٠ق.م خضعت ميديا لدولة الفرس الأخمينية.

الأخمينيون:

في التاريخ القديم كانت إيران تعرف كأرض وشعب، رغم أنه من المستبعد أن عرفت الإمبراطورية بهذا الاسم حتى الحقبة الساسانية. وصلت القبائل الآرية إلى هذه الأرض في الألفيتين الثالثة والثانية قبل الميلاد، ومن المرجح أنه قد تم ذلك عبر موجات من الهجرة. استقرت القبائل المرتحلة الإيرانية في الهضبة الإيرانية، ومع الألفية الأولى قبل الميلاد سكن الميديون والفرس والباكتريون والبارثيون الجزء الغربي من الأرض، فيما بدأ البشتون الإيرانيون والبلوش بالاستقرار على الحد الشرقي، في الحد الجبلي لشمال-غرب الهند، وداخل ما يعرف الآن ببلوشستان. كما كان هناك إيرانيون آخرون أيضاً كالسكيثيين[١٤] وقبائل الآلان، ولاحقا شكل السكيثيون إزعاجاً مستمرا للإمبراطوريات الفارسية عبر الغارات الحدودية.

يبدأ التاريخ الفارسي القديم بإنشاء أول إمبراطورية عالمية على يد قورش الكبير الأخميني. لم تحافظ هذه الإمبراطورية على مجدها الذي حققته تحت حكم خليفته

[١٣] كاتوزيان، هوما، ٢٠٠٩: *الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة*، ترجمة أحمد حسن المعيني، الطبعة الأولى، جداول، ص ص.٥٠-٥١. المرجع السابق نفسه، ص ص.٥٠-٥١.

[١٤] السكيثيون: من الشعوب الإيرانية القديمة (الآرية) قبائل رحل سكنت السهوب الأوراسية من آسيا الوسطى إلى أوربا الشرقية في الألفية الأولى ق.م.

داريوش، إلا أنها كانت مع ذلك أعظم إمبراطورية عالمية حين هزمها واحتلها الاسكندر الأكبر في فترة قصيرة عام ٣٣٠ق.م. وبعد موت الاسكندر أُسست الإمبراطورية السلوقية وأدخلت ملامح الثقافة الإغريقية إلى الأراضي الفارسية، ولكن ليس بدرجة تكفي لتصنع لها جذوراً راسخة في التطورات الثقافية التالية. بدأ الإيرانيون البارثيون في شمال الشرق[١٥] بتشكيل دولة منذ عام ٢٤٧ ق.م، رغم أن الأمر استغرق قرناً كاملاً كي تتأسس الإمبراطورية الأرشاقية البارثية على نحو تام. ومع ذلك فقد بقي شيء من الثقافة الهيلينية تحت حكم الأرشاقيين الذين أطاح بهم لاحقاً أردشير بابكان في عام ٢٢٤م بسرعة معهودة في التاريخ الإيراني. كان الساسانيون من الفرس، وبما أنهم ظهروا من فارس فقد حاولوا إعادة بناء الإمبراطورية الفارسية التقليدية رغم أنها لم تكن كبيرة وقوية مثل إمبراطورية الأخمينيين. وبعد أكثر من أربعة قرون أطاح بهم العرب المسلمون في وقت قصير كذلك.

إنّ الأسباب الكامنة وراء سرعة قيام هذه الإمبراطوريات وسقوطها متنوعة وكثيرة، إلا أن النظام الاستبدادي الذي ميزها جميعها لعب دوراً أساسياً في تسريع سقوطها عند مواجهتها لمعارضة قوية، حيث إن نظاماً كهذا لم يتمكن من توفير قاعدة اجتماعية يمكن للدولة الاعتماد على ولائها ودعمها في وقت الحاجة للدفاع عنها والحفاظ عليها. كان هذا هو الحال عند سقوط داريوش الثالث آخر الأباطرة الأخمينيين في القرن الرابع قبل الميلاد[١٦].

قورش الكبير:

خلف قورش (٥٥٩-٥٢٩ ق.م) والده على عرش أنشان وبيرسيس (فارس). واستطاع في عام ٥٥٠ق.م أن يوحد الميديين والفرس. وبعد احتلاله أرض الميديين ابتدأ قورش مشوار الفتوحات، وبحلول عام ٥٢٩/٥٣٠ (سنة وفاته) كان قد أنشأ أول إمبراطورية عالمية. احتل قورش ليديا وأجزاء كثيرة من آسيا الصغرى بما في ذلك بعض جزرها الإغريقية. وبعد بضع سنوات وجه قورش اهتمامه بالشرق لتأمين حدوده الشرقية من غارات الرحل، فاحتل مناطق شاسعة تضم هركانيا وبارثيا وسغديانا حتى نهر سيحون الذي يصب في بحر آرال. أدخل قورش الزراعة في هذه

[١٥] بين مشارف بحر قزوين وبلاد التركستان.
[١٦] كاتوزيان، هوما، المرجع السابق نفسه، ص ص.٥٠-٥١.
ص ص٤٩-٥٠.

المناطق وبنى مدناً محصنة –أشهرها الآن مدينة سمرقند في أوزبكستان لحماية الجزء الشمالي-الشرقي من إمبراطوريته من هجمات الرحل من آسيا الوسطى.

غير أن فتحه الأكبر تحقق في ٥٣٩ق. باحتلاله بابل التي كانت أقدم حضارة باقية في المنطقة، وتشتمل على بلاد الرافدين وسورية وفينيقيا وفلسطين. إن العدل والاعتدال الذين عامل بهما قورش شعوبه المحتلة جعلا منه أسطورة و"أسطوانة قورش" الموجودة حالياً في المتحف البريطاني- والتي فيها إعلان حرية رعاياه في مسائل الثقافة والدينتوصف أحياناً بأنها الميثاق الأول لحقوق الإنسان[١٧].

من الواضح لدينا أن قورش كان يبجل الإله البابلي بل/مردوخ، واشتهر كذلك بتحرير اليهود من السبي وأمر بإعادة بناء الهيكل في أورشليم.

حين بدأ قورش فتوحاته كانت عاصمته **أنشان** (مليان اليوم)، ثم جعل عاصمته الثانية **إكباتانا** (همدان) بعد أن مد حكمه إلى ميديا. وفي العاصمة الثالثة **بابل** تم تتويجه رسمياً كملك، لكنه عاش في كل هذه المدن في أوقات مختلفة. أنشأ عامته الجديدة والفارسية تماماً (**باسارجاده**) على بعد نحو١٥٠كم شمال-شرقي مدينة شيراز المعاصرة. بدأ إنشاؤها في ٥٤٦ق.م أو بعد ذلك، زلم تكن قد انتهت بعد حين مات قورش، فظلت هي العاصمة الفارسية إلى أن بدأ داريوش ببناء عاصمة أخرى في برسيبوليس.

كان داريوش (**٥٢٢-٤٨٦ق.م**) أخمينياً وإدارياً متمكناً قسّم إمبراطوريته الواسعة إلى ٢٠مرزبانية/ولاية. لم يكن داريوش مجرد حاكم مدني وعسكري متمكن، بل كان أيضاً رجل رؤية واعياً لأهمية بناء الصروح باسمه وترك أثره للأجيال المستقبلية. بدأ بناء مجمع القصور المسمى **بيرسيبوليس** على مسافة نحو ٧٠كم شمال-شرق شيراز، وهي بناءات ساهمت في قوته ومجده مثلما كانت أثراً فنياً بديعاً. كانت هذه هي العاصمة الجديدة والأهم بالنسبة للإمبراطورية، إلى جانب **إكباتانا وبابل وسوسة** التي بنى فيها أيضاً قصراً بارزاً لم يبق منه شيء للأسف. وحيث إن داريوش كان في حركة دائبة فقد كان ممكناً أن يقضي الملك وحاشيته الشتاء في سوسة والربيع في برسيبوليس ويذهبون إلى المرتفعات الباردة في إكباتانا صيفاً.

اندلعت حرب داريوش مع أثينا بعد أن أخضع الأيونيين وغزا بعض الجزر الإيجية، وأخمد الثورة التي قامت بها بعض المدن الإغريقية في آسيا الصغرى والتي كانت أثينا تساندها. دارت المعركة الحاسمة في ماراثون عام ٤٩٠ ق.م وهزم فيها الفرس.

[١٧] المرجع السابق نفسه، ص ص.٥١-٥٢.

نهاية التوسع:

كان خشايارشا (٤٨٦-٤٦٥ ق.م) نائبا للملك في بابل حين توفي أبوه فصعد على العرش. وكان ميالاً إلى حياة البلاط وبناء القصور، بما في ذلك إضافاته الكبيرة في برسيبوليس. بيد أنه كان هناك ضغط متزايد من أتباعه ومن المنفيين الأثينيين للانتقام من أثينا وقهر الإغريق.

وفي عام ٤٨٠ق.م حشد أكبر جيش آنذاك فعبر مضيق الهيليسبونت/الدردنيل وأحكم قبضته على ثيساليا ومقدونيا وكسر مقاومة الإسبرطيين في ثيرموبيلاي واحتل أثينا وأحرق أكروبوليس. إلا أن غالبية الإغريق لم يستسلموا وركزوا أسطولهم على سلاميس. وانسحب إلى فارس مما أنهى الطموحات الفارسية في توسيع إمبراطوريتها إلى أوربا.

بقيت الإمبراطورية الأخمينية لأكثر من ١٣٠سنة بعد وفاة خشايارشا قبل أن يحتلها الإسكندر الأكبر[١٨].

أما أرتحششتا الثالث (**٣٥٩-٣٣٨ ق.م**)، فقد قمع المتردين والكادوسيين الثائرين بقسوة شديدة. كما استعاد مصر أيضاً. شعرت اليونان بضغط كبير من إعادة ترتيب البيت الفارسي وتوسعه تحت قيادة حازمة، بيد أن الحملات الساعية إلى توحيد الإغريق وغيرهم ممن يشاركهم ثقافتهم لم تفلح. في هذه الأثناء ظهرت قوة جديدة في مقدونيا لم تكن هيلينية ولكنها إغريقية الثقافة، واستطاع حاكمها فيليب الذي ضم بعض الأراضي الإغريقية أن يكسب اعتراف الإغريق به كحاكم يحتاجون إليه لمواجهة الفرس. وفي عام ٣٣٨ ق.م هاجم فيليب اليونان وأنهى الاستقلال اليوناني، وفي العام نفسه قُتل الملك الفارسي على يد جنرال باغواس.

كانت هذه بداية النهاية للإمبراطورية الأخمينية العظيمة. قتل باغواس ابن أرتحششتا أيضاً، ومن ثم وقع الاختيار على داريوش الثالث أحد أقرباء العائلة (٣٣٥-٣٣٠ق.م)[١٩].

تمكن فيليب المقدوني من بناء جيش قوي قبل أن يتم اغتياله، فقاد خليفته ابنه الإسكندر جيشاً من ٤٠ ألف رجل واستطاعوا أن يحرروا مستعمرات فارس الإغريقية. ثم احتل الاسكندر سورية ورحبت به مصر، ومن ثم تقابل الجيشان في جوجميلا بين سفوح الجبال الآشورية. هنا انكسر الجيش الفارسي وهرب داريوش إلى إكباتانا. كان الطريق إلى سوسة وبيرسيبوليس مفتوحاً لقوات الإسكندر. ولكن من

[١٨] المرجع السابق نفسه، ص ص.٥٤-٥٨.
[١٩] المرجع السابق نفسه، ص ص.٥٩-٦٠.

غير الواضح ما إذا كانت بيرسيبوليس قد أحرقت عمداً أم عن طريق الخطأ. بعد ذلك شق الاسكندر طريقه وأخضع المحافظات الشرقية عابراً آسيا الوسطى إلى الهند. وهكذا فقد تقوضت الإمبراطورية الفارسية العظيمة بسرعة أكبر من تأسيسها[٢٠].

بنى الأخمينيون إمبراطورية وأنشؤوا حضارة عالمية، ولم يحدث قبل ذلك أن جاءت شعوب متنوعة ومتباعدة كهذه تحت حكم واحد، على الرغم من اختلافاتها العرقية والدينية واللغوية والثقافية. كما أن الحجم الكبير لهذا المجتمع واقتصاده قد أثمر ازدهارا في الزراعة والتجارة، وذلك بفضل اتساع السوق وأمان المواصلات. هذا وقد أدى تنوع شعوب الإمبراطورية وفنونهم، والسخاء الذي أبدته الحكومة المركزية على التشييد إضافة إلى رفاهية الطبقة العليا، كلها أدت إلى ظهور فن فارسي فريد في العمارة والنحت والفنون والحرف الزخرفية التي انتشرت إلى أراض أخرى كالهند مثلاً[٢١].

وبسقوط الأخمينيين وموت الاسكندر بدأت الحقبة الهيلينية من التاريخ الإيراني حيث حكم السلوقيون الدولة قبل أن يطيح بهم الإيرانيون البارثيون. وهكذا فقد استغرق الأمر خمسة قرون بعد انهيار الإمبراطورية الفارسية الأخمينية الأولى كي تحل محلها الإمبراطورية الفارسية الثانية (الساسانية)، وهي القروم الخمسة التي حكم خلالها السلوقيون الهيلينيون والبارثيون إيران[٢٢].

الإغريق والبارثيون والفرس:

توفي الاسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق.م، وفي غضون عشرين سنة من وفاته قسمت إمبراطوريته الشاسعة بين مقدونيا (بما فيها اليونان)، وبطالمة مصر المقدونيين، وسلوقيي إيران. احتفظ السلوقيون في بادئ الأمر بأجزاء كبيرة من الإمبراطورية الأخمينية القديمة، باستثناء مر وجنوبي سورية وأجزاء من آسيا الصغرى. بنى سلوقس مؤسس الأسرة السلوقية عاصمتين: سلوقية على نهر دجلة في بلاد الرافدين وأنطاكية على نهر العاصي في سورية. ولقد تبنى السلوقيين جوهر النظام الإداري للأخمينيين، ومنه أن تكون الدولة مالكة لكل الأراضي، إلا أنهم أسسوا مدناً جديدة وأعادوابناء بعض المدن القديمة بأسماء جديدة.

[٢٠] المرجع السابق نفسه، ص ص.٦٠-٦١.
[٢١] المرجع السابق نفسه، ص.٦١.
[٢٢] المرجع السابق نفسه، ص.٦٣.

كما أنشئت مستعمرات إغريقية شرقاً إلى حد باكتريا (أفغانستان)، وظهرت معالم الثقافة الإغريقية في الأراضي الإيرانية بما في ذلك الدين الإغريقي الذي كان موجوداً جنباً إلى جنب مع أديان وعقائد أخرى. وحلت اللغة الإغريقية محل الآرامية التي هي اللغة الرسمية في عهد الأخمينيين. جدير بالذكر أن اللغة الإغريقية كانت متداولة في المدن الإغريقية الآسيوية التي يحكمها الأرشاقيون البارثيون، وعاشت في نقوشهم وعملاتهم المعدنية لقرنين من الزمان. ولم يكن من غير المألوف آنذاك للإغريقيين والمقدونيين أن يتزوجوا من الفارسيات ويستقروا في فارس، وهكذا فقد حدث التهلين من الهيلينية دون قسر أو فرض سياسة رسمية لنشرها[٢٣].

أما الفن الأخميني فقد توقفت مسيرته، إذ أن رعاية الفنون انتقلت الآن إلى البلاط السلوقي والمستوطنين الإغريق والمستعمرات الإغريقية في فارس، والطبقات العليا الفارسية المُهَلْيَنة. ولم ينتج عن ذلك فن إغريقي أو فارسي وإنما أشكال هجينة من الاثنين، مما يعكس نوعاً من التسوية الفنية بوعي أو دون وعي. مع ذلك فلم ينعدم الفن الإغريقي الخالص والفن الإيراني الخالص، رغم أنه يتبين لنا من المعرفة القليلة التي بحوزتنا حول فنون هذه المرحلة أن نسبة التسوية الإغري-إيرانية هي السائدة.

كانت الإمبراطورية السلوقية شاسعة تمتد من البحر المتوسط إلى نهر سيحون والسند، وكانت مؤلفة من شعوب إيرانية وغير إيرانية متعددة. وعليه فقد غدا اتحاد هذه الشعوب في جسد سياسي واحد أكثر صعوبة مما كان عليه الوضع تحت الإمبراطورية الأخمينية، أقله لأن قوة الأخمينيين كانت مرتكزة على قاعدة إيرنية لم تتحصل عليها الأسرة السلوقية. ومع حلول منتصف القرن الثالث قبل الميلاد فَقَد السلوقيون سيطرتهم على باكتريا وبارثيا في الشرق، بينما كان الرومان يتقدمون شيئاً فشيئاً من الغرب. وبعد أن استولى البارثيون على بلاد الرافدين بعد نحو ١٠٠سنة، انكمشت سلطة السلوقيين إلى ما لا يزيد كثيراً عن مملكة مكونة من بلدين مستقلين في الواقع إلى حد كبير. بعد ذلك بقليل انسلخ السلوقيون في الإمبراطورية الرومانية، مثلهم مثل بقية الملكيات الإغريقية [٢٤].

البارثيون (الأرشاقيون):

في عام ٢٤٧ق.م استطاع أخوان من أصل إيراني سكيثي أن يطيحا بالسلوقيين في شمال شرق إمبراطوريتهم بُعيد إعلان الإغريق الباكتريين الاستقلال عنهم. كان

[٢٣] المرجع السابق نفسه، ص.٦٣.
[٢٤] المرجع السابق نفسه، ص.٦٥.

أرشاق زعيماً لقبيلة برني من قبائل الرحل السكيثيين الـ" داها" من المنطقة بين بحر قزوين وبحر آرال، وأدى تمرده إلى هزيمة القوات السلوقية المحلية واحتلال بارثيا. وكان البارثيون أنفسهم في الأصل شعباً إيرانياً متنقلاً يغزو التخوم الشرقية للإمبراطورية الأخمينية إلى أن استقروا في بارثيا وأصبحوا رعايا تلك الإمبراطورية. في الوقت نفسه تقريبا تمكن تيرداد أخو أرشاق من انتزاع جرجان من أيدي السلوقيين، وبنى حصناً منيعاً وعاصمة جديدة سماها على اسم مؤسس الأسرة أرشاق أو أشق (قارن ذلك باسم أشق آباد/عشق آباد، عاصمة تركمنستان الحديثة).

لم يفلح السلوقيون في مواجهة تيرداد في عام ٢٢٨ق.م، لأنهم اضطروا لسحب قواتهم لمواجهة ثورة اندلعت في سورية. وقبل أن يموت تيرداد في عام ٢١١ق.م كان قد مد حدود مملكته على حساب السلوقيين، وفي القرن التالي (الثاني ق.م) استعادت المملكة الأرشاقية كل الأراضي الإيرانية، رغم أنهم لم يستطيعوا استرداد جميع أراضي فارس الأخمينية. أمّا المؤسّس الحقيقي للإمبراطورية البارثية فهو مهرداد الأول الذي احتل ميديا وبابل وسلوقية على نهر دجلة بين عامي ١٦٠ و١٤٠ق.م، وأحيا اللقب الأخميني "ملك الملوك". وبصفته مؤسساً للإمبراطورية البارثية عادة ما يشبه مهرداد بقورش الكبير. بنى مهرداد معسكر جيش ضخم خارج سلوقية وأصبحت قطيسفون عاصمة الإمبراطورية.

كان البارثيون شبه رحل غرباء من شمال-الشرق في الأراضي الإيرانية الوسطى والغربية التي احتلوها، مما جعلهم يقابلون بقدر من العداء بين رعاياهم الجدد الإغريق والفرس على حد سواء، بدلاً من أن يعاملوا كمحررين للبلد. وهذا هو السبب في أن الإمبراطور السلوقي عندما قاد حملة كبيرة لاستعادة ما خسره من أراض قوبل بترحيب شعبي كبير في كثير من المحافظات الغربية، رغم أنه هزم وأسر. وقام السلوقيون الإغريق بمحاولة أخيرة على يد فرهاد الثاني (ملك بارثي)، وبدا الأمر وكأن البارثيين قد خسروا كل شيء لكن الحظ ساندهم حين ثارت شعوب المناطق المعاد احتلالها ضد المطالب الاقتصادية التي فرضها الجيش الإغريقي، لذا استطاعوا أن يردوا الهجمة في عام ١٢٩ق.م ويعيدوا السلوقيين مرة أخرى إلى سورية.

وفي السنوات القليلة التالية، وكما حدث كثيراً في التاريخ الإيراني كانت هناك غارات كثيرة من الرحل من جهة الشرق، وهذه المرة من السكيثيين الإيرانيين من تركستان الشرقية، والتي لم يستطع إيقافها لا فرهاد الثاني ولا عمه الذي خَلَفَه، وكلاهما سقط قتيلاً في إحدى المعارك. في تلك الأثناء اندلعت تمردات في

المحافظات الغربية بما في ذلك المملكة العربية ميسان، وبدا الأمر وكأن الإمبراطورية الأرشاقية مهددة بالفناء، إلى أن استلم مهرداد الثاني زمام الأمور نحو ١٢٣ق.م. ويشبّه مهرداد الثاني بداريوش الأول، لأنه استطاع تدعيم الإمبراطورية الأرشاقية وإعادة بنائها. لكنه قبل ذلك قام بتعزيز القبضة البارثية في غربي الإمبراطورية، ثم اتجه لدفع الرحل إلى الجانب البعيد من نهر جيحون، وحول مملكتهم الوليدة سجستان إلى دولة تابعة له. وفي أثناء ذلك اجتاح المملكة الإغريقية-الباكترية، ومع بداية القرن الأول قبل الميلاد كانت قد حلت محلها ممالك الساكا[٢٥].

في عهد مهرداد الثاني وصل الرومان لأول مرة إلى الفرات وأصبحوا جيران البارثيين، فحاول مهرداد أن يتودد إليهم لتشكيل حلف ضد ممالك أرمينية وآسيا الصغرى التي نجحت في مقاومة التقدم الروماني، بيد أن القائد السياسي والعسكري الشهير سولا-والذي لم يكن يعرف الكثير عن البارثيين-رد عليه بازدراء، مما قاد مهرداد الذي شعر بالإهانة إلى الدخول في حلف مع تلك المملكتين.

تبع موت مهرداد الثاني عام ٨٨ق.م قرابة ثلاثة عقود من الانحدار، فاحتلت أرمينية مناطق وصلت جنوباً إلى أكباتانا (همذان الحالية)، واعتلى ملك أرمينية عرش سورية بدعوة من السلوقيين، وسمى نفسه ملك الملوك. خلال هذه الفترة القصيرة بدا وكأن الشمس قد غربت على الإمبراطورية الأرشاقية التي تضاءلت إلى مستوى ما يقرب من دولة تابعة. بيد أن الرومان حين شعروا بالخطر من توسع أرمينية في آسية الصغرى عرضوا-فيما يشبه الفرض- على فرهاد الثالث اتفاقية سلام التزم بها بوفاء بالغ، رغم أن الرومان الذين لم يتخلصوا بعد من ازدرائهم للبارثيين لم يكونوا خير عون في تدخلهم لحل الخلاف بين البارثيين والأرمن[٢٦].

في عام ٥٨ق.م لقي فرهاد الثالث حتفه على يدي ابنيه مهرداد الثالث وأورود الثاني اللين تقاتلا بعد ذلك على العرش، وانتصر أورود في نهاية الأمر ودبر مقتل أخيه. وفي عام ٥٣ ق.م قرر كراسوس عضو الحكومة الثلاثية الرومانية وقنصل سورية تحقيق نصر على العضوين الآخرين في الحكم (يوليوس قيصر وبومبيوس)، وذلك بالهجوم على البارثيين وإلاق هزيمة كبيرة بهم. قاد هذا الهجوم إلى معركة حران التي استطاع فيها قائد سلاح الفرسان البارثي الجنرال القوي سورين أن يقهر جيش كراسوس ويأسر عشرة آلاف جندي منهم ويقتل٢٠ألفاً آخرين، ويرسل رأس كراسوس إلى بلاط أورود في سلوقية[٢٧].

[٢٥] المرجع السابق نفسه، ص ص.٦٥-٦٦.
[٢٦] المرجع السابق نفسه، ص.٦٦.
[٢٧] المرجع السابق نفسه، ص.٦٦.

قرر أورود الاستفادة من هزيمة كراسوس وتقدم عبر سورية إلى البحر المتوسط، لكنه هزم. ومن ثم لقي أورود نفسه حتفه على يد ابنه فرهاد الرابع.

وبدءاً من ذلك الوقت كان على البارثيين أن يواجهوا الرومان في الغرب ويتعاملوا مع الغزو الدائم من الإيرانيين الرحل القادمين من الشرق. وفي الجهة الأحرى لم تفلح الحملات التي قادها ماركوس أنطونيوس-عضو الحكم الثلاثي الروماني الثاني- فخسر أمام نظيره أوغوستوس. لكن الرومان اتخذوا موقفاً ودياً من البارثيين، حيث أدركوا بأن الانقلابات المتكررة داخل القصر البارثي وتذبيح أفراد العائلة الحاكمة والصراعات القبلية وازدياد التمردات في المناطق، والغزو المتكرر من الشرق لن يسمح للبارثيين بتشكيل تهديد حقيقي للإمبراطورية الرومانية. ولهذا السبب نفسه لم يجد الرومان صعوبة في التدخل في الشؤون الداخلية لإيران البارثية.

غزا الرومان الإمبراطورية البارثية لأول مرة عام ١١٥م بقيادة الإمبراطور تراجان. سقطت على إثر ذلك قطيسفون وأوشكت بارثيا على الضياع إلى الأبد، بيد أنه في الفترة القصيرة اللاحقة تراجع الرومان بضغط من القوات البارثية في شمال-الشرق، وسيشهد التاريخ سقوط قطيسفون مرتين أخريين في يد الرومان قبل أن يحل الساسانيون مكان البارثيين. في عهد بلاش/فولوجاسيس الثالث تمكن البارثيون من الهجوم وتحقيق بعض التقدم لولا أن قلب الرومان الوضع واستطاعوا في عام ١٦٥م الدخول إلى قطيسفون من جديد. ورغم أن انتصار الرومان هذا لم يدم طويلاً إلا أن الإمبراطورية البارثية اضطرت إلى التنازل عن بعض المحافظات الإيرانية الغربية للرومان، خاصة وأن الصراع البارثي المستمر على العرش ولّد قيادة ضعيفة ومنقسمة. وهذا ما مكن الإمبراطور الروماني سبتيموس سيفيروس من الهجوم على قطيسفون واحتلالها مرة أخرى عام١٩٧م. من ناحية أخرى استطاع أرتبان الخامس أن يلحق بالرومان هزيمة ثقيلة عام ٢١٧م. بعد ذلك اندلعت ثورة في بيرسيس قادت إلى سقوط البارثيين عام ٢٢٤م.

حلّ الأرشاقيون مكان الإمبراطورية السلوقية الإغريقية في إيران، مما قد يكون السبب وراء استمرارهم في استخدام النقش فيلهيلين على عملاتهم، وهو أمر يشير إلى شعور إيجابي إزاء الثقافة الإغريقية، أو بالأحرى إزاء الهيلينية[٢٨].

من المرجح أن الأرشاقيين –كونهم قبيلة مترحلة بسيطة- تأثروا بالفرس" المهلينين" في مناطق الداخل الإيراني. مع ذلك فإن أولى العلامات على الإحياء الثقافي الإيراني الجديد قد ظهرت في عهد بلاش/فولوغاسيس الأول في القرن الأول الميلادي. في الجانب الآخر من العملة الأرشاقية وضع مذبح النار المقدسة مع كاهن، كما حملت

[٢٨] المرجع السابق نفسه، ص.٦٨.

العملة حروفاً من الأبجدية البهلوية الأرشاقية (البارتوية/البارتية) إذ تطورت لاحقاً إلى الفارسية الوسيطة الساسانية أو البهلوية[٢٩].

تعكس الفنون والعمارة البارثية منهجية الانتقاء الفني في هذه الحقبة، وأغلب البقايا المعمارية توجد في الغرب وهي متأثرة بالأشكال الأخمينية والهيلينية والقادمة من بلاد الرافدين مع إضافات من وحي الثقافة المترحلة للبارثيين. وفي الواقع فإن بعضاً من أهم معالم الفن الساساني والإسلامي كالإيوان والزخارف المجصصة مثلاً تعود جذورها إلى الحقبة الأرشاقية[٣٠].

الساسانيون:

حكم الساسانيون بلاد فارس لما يربوا على ٤٠٠سنة من عام ٢٢٤م وحتى أطاح بهم المسلمون عام ٦٥١م. لقد حكم الساسنيون إمبراطورية بلغت في ذروة عظمتها حجم الإمبراطورية الأخمينية، باستثناء مصر وسورية وآسية الصغرى.

نشأت المشكلات الخارجية للساسانيين نتيجة النزاعات المتكررة في حدودهم الغربية والشرقية والشمالية. كانوا في الغرب يواجهون الرومان البيزنطيين* في نزاعات غالباً ما تركزت حول أرمينية وغرب بلاد الرافدين. وفي الشرق كانوا يواجهون ضغوطات وهجمات أحياناً من العديد من الرحل الشرقيين. ولقد أسس بعضهم-لاسيما الكوشان ذوو الأصل الإيراني، والهيبثاليون (أو الهونيون البيض)- دويلات شبه مرتحلة واحدة بعد الأخرى إلى جانب أو داخل التخوم الشرقية للإمبراطورية الساسانية. لاحقاً أطاح بها الأتراك الذين شاءت الأقدار أن يلعبوا أدواراً مصيرية في إيران وغربي آسيا وشرق أوربا في القرون التالية. وفي الشمال كان على الساسانيين أن يكافحوا الغزوات المستمرة من الهونيين الرحل، علاوة على التعامل مع المسألة الأرمنية التي كانت مشكلة منفلة ومحل نزاع مع الرومان أو بالأحرى بيزنطة[٣١].

هناك أربعة حكام ساسانيين فقط دافعوا عن الإمبراطورية ببراعة ووسعوا حدودها وحافظوا على حكومات قوية ثابتة في الداخل: في القرن الثالث الميلادي، أردشير بابكان مؤسس الإمبراطورية، وابنه شابور الأول، وفي القرن الرابع شابور الثاني، والقرن السادس كسرى/خسرو الأول الملقب بأنوشروان. أما بهرام الخامس في

---

[٢٩] المرجع السابق نفسه ص.٦٩.

[٣٠] المرجع السابق نفسه ص.٦٩.

* وهي الإمبراطورية الرومانية الشرقية في القسطنطينية والتي ظهرت للوجود في ٣٩٥م إثر تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية.

[٣١] المرجع السابق نفسه ص.٧٠.

القرن الخامس وكسرى الثاني برويز في القرنين السادس والسابع فلهم شهرة واسعة[٣٢].

كانت اللغة الرسمية للساسانيين هي البارسية أو الفارسية الوسيطة، والتي عرفت لاحقاً باسم البهلوية[٣٣].

أسس الساسانيون أول دولة إيرانية تتخذ ديانة رسمية، وهي الزرادشتية، ومنذ ذلك الوقت عرفت إيران معنى دين الدولة، ومع ذلك وجدت ديانات ومعتقدات متداولة بشكل سري أو علني في ذلك الوقت، ومنها اليهودية والمسيحية والبوذية[٣٤].

أفضت الفتوحات الإسلامية المبكرة إلى اتساع كبير في رقعة الأراضي الإسلامية، من السند وحتى إسبانيا، ولم تقتصر هذه الفتوحات على ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية، بل إن الإمبراطورية الفارسية استسلمت بأكملها بعد موت النبي محمد (ص) سنة ٦٣٢م بفترة قصيرة. ففي **معركة القادسية** بعد أربع سنوات فقط من اعتلاء يزدجرد الثالث عرش فارس (أي سنة ٦٣٦م) استطاع جيش عربي صغير يقوده سعد بن أبي وقاص أن يهزم الجيش الفارسي بقيادة رستم بن فروخزاد القائد الأعلى للجيش. كما سقطت قطيسفون بعد سنتين وتبعتها هزيمة يزدجرد **في نهاوند** في فارس نفسها. وهكذا في غضون سنوات قليلة أطيح بالإمبراطورية الفارسية القوية واحتل العرب المسلمون أرض فارس[٣٥].

فنون سيالك وخورفين وحسنلو وأملاش[٣٦]:

الحضارة الفارسية ترجع في قدمها إلى ما قبل الميلاد بخمسة آلاف من الأعوام. وعلى مشارف الصحراء، وإلى الجنوب من طهران حيث منطقة **سيالك** نجد أطلالاً لمبان تعود إلى **الألف الخامس قبل الميلاد**. تدلنا الأطلال على أن أهالي سيالك كانوا يبنون بيوتهم من اللبن ويطلون جدرانها من الداخل باللون الأحمر، وفيما خلفوه ما يدلنا على أنهم وصلوا إلى صنع أدواتهم المنزلية من المعادن. بعد أن كانوا ينجونها من الحجر. وكانوا ذوي ميول فنية أشبعوها بنحتهم من العظام تحفاً دقيقة مختلفة، كما

---

[٣٢] المرجع السابق نفسه، ص.٧١.
[٣٣] المرجع السابق نفسه، ص.٧٢.
[٣٤] المرجع السابق نفسه، ص.٧٣.
[٣٥] المرجع السابق نفسه، ص.٩٣.
*ميديا هي موطن الميديين، وهي الاسم القديم للطرف الشمالي الغربي من إيران الذي يضم أذربيجان وكردستان وجانباً من كرمنشاه. وكانت عامتها إكباتانا/همذان الحالية.
[٣٦] **أملاش** تقع في شرقي جيلان زجنوب غربي بحر قزوين، وهي أهم موقع أثري فيها.

عبروا عنها في صنع أوان من الطين عالجتها النساء بالأيدي قبل أن يهتدوا إلى دولاب الفخار في الألف الرابع قبل الميلاد.

وبالنسبة للمقابر في سيالك: كانت قبور الأغنياء إلى جانب قبور الفقراء. مما يدل على عدم وجود نظام طبقي بمعناه الواسع. وقد صنعت الأدوات المكتشفة في القبور من الحديد أو النحاس أو البرونز، في حين صنعت الحلي وحدها من الفضة، وليس من بينها ما هو مصنوع من الذهب، مما يشير إلى أنهم لم يكونوا قد اهتدوا إليه بعد. كما حتوت المقابر على أواني فخارية مختلفة، من بينها **كأس من الفخار** الأصفر الشاحب اللون مزين برسوم وزخارف رمادية اللون تكشف عن خيال خصب وقدرة ملموسة على التحوير الزخرفي والمقابلة بين الخطوط الطولية والعرضية والمائلة في إيقاع متوازن يريح العين، فقد اختار الخزاف ظبية أوقفها على الشريط الأدنى للإطار منطلقاً بقرنيها حتى بلغ بهما الحافة العليا للإطار، وأنبت بهما تهشيرات مستعرضة خلقت مع تهشيرات القرنين مقابلة نغمية في تلقائية وكأنها مدروسة (الشكل ١)[٣٧].

الشكل ١، آنية فخارية من سيالك

وفي سيالك -في الفترة ما بين القرنين العاشر والثامن ق.م- وفي غيرها من الجبّانات/المدافن الإيرانية السابقة للعهد البارثي كانت الإلهة اللقلق هي التي تمثل على هيئة محورة في شكل إناء من الطين المشوي أو البرونز.

[٣٧] عكاشة، ثروت، المرجع السابق نفسه، ص ص.٧١-٧٢.

والسمة التي تكاد تميز فن سيالك هي تلك الوحدة الجامعة بينه، ويرجع الدارسون هذا التجانس إلى استقرار قبائل الميديين في تلك البقاع، فهم لم يتحولوا عنها ولم يدخل عليهم فيها غيرهم. ونحن لا نجد مثل هذا التجانس الفني في **منطقة خورفين** التي كان أهلها دخلاء عليها، والتي نزحت إليها عناصر غير فارسية. وعلى خلاف الطابع الحربي للفن السياليكي يتسم الفن في خورفين بالطابع الزراعي، إذ يتجلى الطابع الحربي السياليكي في دفن موتاهم بصحبة أسلحتهم وعدة خيولهم. غير أن ثمة صلة بين الأواني في كلتا المنطقتين، فكلها ملونة بلون واحد: الأحمر أو الأسود أو الرمادي الداكن. وهناك ظاهرة تشير إلى خلاف بين تقاليد الكهان في سيالك وتقاليدهم في خورفين، فعلى حين نجد كهان خرفين يمسكون بإبريق الماء المقدس الذي هو على هيئة طائر من ثقبين على جانبيه، نرى كهان سيالك يمسكون تلك الأباريق من آذانها (الشكلان: ٢و٣)[٣٨].

الشكل ٢، ٣ إبريقان خزفيان/فخاريان من خورفين

[٣٨] نفس المرجع السابق ص ص.٧٢-٧٣.

ويعد **الأسكوس** من أغرب ما ابتكره خزافو خورفين، وهي آنية على هيئة حذاء، مما يرتديه الفرس في النقوش الخفيفة البروز بسوسة وتخت جمشيد/برسيبوليس، ولعلها تشبه الأحذية التي كان أهالي خورفين ينتعلونها (الشكل: ٤)[٣٩].

الشكل٤ إناء الأسكوس من خورفين

وبالنسبة **للخزف/الفخار الملون** نحن نجهل الكثير عن مصير الفخار الملون الذي عرفه الإيرانيون في عصر ما قبل التاريخ، ومع ذلك يبدو أنه كان لهذه الصناعة نصيب ما حتى نهاية القرن السابع ق.م، أي بعد قرنين من اندثار حضارة سيالك، فقد عثر في أربع مناطق متباعدة على هذا الفخار، ومن بين هذه المناطق أذربيجان وسوزيان ولورستان وكردستان[٤٠].

وتكشف **حسنلو** الواقعة إلى الغرب من الهضبة الإيرانية عن التطورات الحضارية قبل الغزو الإيراني. فثمة **مقبرة** تضم إلى جانب المعدات الجنائزية المألوفة هياكل لجياد أربعة، وأواني من الفخار ما بين حمراء وسوداء. وعلى الأواني الجنائزية نشهد تجسيداً للحيوان الذي كانوا يعدونه حارساً للماء فيصورون رأسه على ميزاب المدفق (الشكل:٥). أما **حليهم** فكانت تفوق حلي سيالك وخورفين حجماً وإتقاناً، عثر من بينها على أقراط عنقودية وعقود من الذهب. وثمة أوان فخارية تتصل بالطقوس الدينية، لها عدة فتحات وميازيب على شكل رؤوس الطير يتصدرها شكل كاهن

[٣٩] نفس المرجع السابق ص. ٧٣.
[٤٠] المرجع السابق نفسه، ص.٧٤.

يؤدي الشعائر الجنائزية (الشكل: ٦) وأخرى من البرونز تقوم حواملها على سيقان تنتهي بأقدام آدمية منتعلة أحذية (الشكل: ٧)[٤١].

الشكل٥ إناء شعائري من أذربيجان ذو ميزاب مدفق على شكل رأس حيوان من الفخار

الشكل٥ إناء فخاري لصب الماء المقدس من حسنلو.

[٤١] المرجع السابق نفسه، ص ص.٧٥-٧٦.

وهناك **تحف** ترجع إلى القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد عثر عليها في الجنوب الغربي من بحر قزوين حيث منطقة **أملاش**، منها أوان فخارية ومنها أوان من الذهب وأخرى من الفضة عليها نقوش أشبه بنقوش بلاد الرافدين تمثل جياداً أصيلة تتحرك في زهو وخيلاء وقد انحنت أعناقها وأجسادها (الشكل: ٦). وثمة آنية ذهبية ذات نقوش تمثل موضوعات آشورية أهمها اللاماسو(الجني الآشوري حارس مداخل القصور على هيئة ثور)، على الرغم من أن آشور لم تغزو هذه المنطقة (الشكل: ٧)[٤٢].

الشكل:٧ آنية ذهبية بنقوش تمثل موضوعات آشورية

[٤٢] المرجع السابق نفسه، ص. ٧٦.

الشكل: ٦ آنية ذهبية عليها نقوش من مارليك

تفصيل الشكل السابق.

وكانت ثمة قبائل سكوذية خلال القرن الثامن قبل الميلاد تقطن منطقة **جيلان**. وكانت تنقسم إلى إمارتين عاصمة الشرقية منها **مارليك**[٤٣] والأخرى في الغرب عاصمتها **كالوراز**. ويدل التاريخ المتأخر لجيلان على أنها كانت مع غيرها من البلاد المحيطة ببحر قزوين تتأخر دائما عن الانخراط سياسياً وحضارياً في الحكم السائد بالهضبة

[٤٣] موقع مارليك الأثري يقع تحديداً في محافظة جيلان، شمالي إيران.

الإيرانية، فقد استمرت على ولائها للأخمينيين بينما كانت الهضبة تحت سيادة البارثيين الأرشاكيين، وطلت بارثية حتى كان خسرو الثاني يحكم الهضبة، ثم تمسكت بولائها للساسانية[٤٤].

بدأت الحفائر في **ماراليك** الواقعة إلى الجنوب الغربي من بحر قزوين منذ عام ١٩٦١، وعثر المنقبون على طبقة واحدة ذات ثراء وفير تضم **خمسين مقبرة** للأمراء، ومدافن للملوك المحاربين تغص بأسلحة برونزية وخناجر وسيوف وجعبات وسهام وكذلك عدد آخر من مقابر الملكات والأمراء والأشراف، وجبانات للخيل. وتكشف القطع التي عثر عليها على ما كان هناك من تبادل حضاري بين حسنلو وسيالك وزيفييه[٤٥]، فقد امتدت علاقات سكان ماراليك من قبرص في الغرب حتى نهر السند شرقاً، وظلت عيلام إلى جوارهم نبع الحضارة الكلاسيكية. وكانت مقابر ماراليك زاخرة بالموضوعات الحيوانية المشكلة من الطين المشوي، فنجد ثيراناً محدودبة الظهر تجر محاريث (الشكل:٧) وأغلب أدوات الطين المشوي بماراليك أوعية وأباريق للماء ذات مدافق في أشكال محورة كثيرة، منها الدب الذي يشد القوس وينبثق المدفق من صدره [٤٦].

الشكل:٧ زوج من الثيران يجر المحراث من ماراليك

وكشفت حفائر كالوراز بين عامي ١٩٦٧،١٩٦١ عن جبانات تنتمي إلى القرن الثامن قبل الميلاد يقال إنها كانت جبانة الخالدين.

[٤٤] المرجع السابق نفسه، ص.٧٦.

[٤٥] يعرف باسم قلعة زيفييه أو تله زيفييه، ويقع في محافظة كردستان، شمال غربي إيران. كانت القلعة في البداية مركزاً لمملكة ماناي، ثم أصبحت لاحقاً مقراً لحكام الميديين والسكوثيين. تعود شهرة الموقع إلى اكتشاف كنز زيفييه عام ١٩٤٧.

[٤٦] المرجع السابق نفسه، ص.٧٧.

فن لورستان السيميري[٤٧]:

كانت حياة سكان جبل زاغروس السيمريون حياة بداوة. وكان منهم رعاة يصحبون قطعانهم إلى الوديان بحثاً عن الكلأ، ثم يعودون إلى قراهم الواقعة على ارتفاع نحو ١٥٠٠م والتي يبقى فيها الشيوخ والأطفال والحرفيون من حدادين ومزارعين وغزالين وانعي الملابس الجلدية. وما من شك في أن عدداً كبيراً من القطع البرونزية اللورستانية الشهيرة قد صنعت في هذه القرى في أعالي الجبالي في نهاية الألف الثانية ق.م.

وما لبثت **صناعة صهر الحديد والمعادن** أن ارتقت نتيجة لأسلوب الحياة الرعوية التي كان يحياها جزء كبير من سكان الجبال أصحاب قطعان الماشية والأغنام. وقد بات من المعتقد أن جبال إيران هي مهد صناعة صهر الحديد. حيث كان استخدام المعادن كشفاً جوهرياً تمخضت عنه الظروف المواتية المتمثلة في تربة غنية بالحديد والمعادن والغابات الشاسعة الممتدة بجوار تجمعاتهم وقراهم. وهكذا عرف سكان الجبال الإيرانية خام الحديد، وعرفوا كيف يستخرجونه ويشكلونه، كما أمدتهم الغابات بالأخشاب اللازمة للوقود المستعمل في صهر المعادن، وبدأت الأسلحة والأدوات الثقيلة تختفي شيئاً فشيئاً لتحل محلها أدوات أكثر رشاقة ودقة. كما استخدمت المعادن أيضاً في صناعة الحلي.

وقد اكتُشفت عام ١٩٣٨م في **مقبرة بسهل زاغروس** مجموعة من الأواني البرونزية والحديدية تنتمي إلى حضارة لورستان حيث كان يعيش السيمريون. خلّف السيمريون سكان لورستان تماثيل برونزية شكلها الفنانون لأغراض دينية، ومن أهمها تمثال البطل مصارع الحيوانين، الذي يمثل *سراهوشا* إله العدل بوجهين بارزي العيون، قد لفّ بذراعيه وحشين، وشد على خصره حزاماً يكتنفه رأسا ديكين واستبدل أطرافه السفلى بردفي الوحشين وقوائمهما، وفي ذلك إشارة إلى ما كان يتقد من أن الديك كان عليه إيقاظ المؤمنين لأداء فروض العبادة[٤٨].

---

[٤٧] السيمريون هم أحد الشعوب التي سكنت وحكمت لورستان في فترة زمنية محددة. هم ليسوا سكان لورستان الأصليين، بل مجموعة من البدو الرحل الذين قدموا من منطقة البحر الأسود. موطنهم الأصلي: سهول البحر الأسود شمال القوقاز (منطقة أوكرانيا وجنوب روسيا حالياً).

[٤٨] المرجع السابق نفسه، ص ص.٩٣-٩٤.

الشكل:٨ البطل الإله سراهوشا مصارع الحيوانين من البرونز. لورستان.

كان الموتى يدفنون في رفقة بعض تماثيل الآلهة لاستدرار عطفها، وكانت التماثيل تشكل من جزأين يمثل أحدهما الرأس ويمثل الآخر الجسد ثم يضم أحدهما إلى الآخر، كما كانت رؤوسها تشكل أحياناً على هيئة أقراص كبيرة تتوسطها وجوه بارزة. وثمة كثير منها في كوى معبد شرخ دوم، مثل الدبوس الذي نقشت على رأسه صورة الإلهة*آشى*، وهي تتصدر التكوين مرتدية تنورة ذات أطواء دقيقة ممسكة في كلتا يديها بسعفة نخيل ويحيط بها من الجانبين أسدان (الشكل:٩). وكانت عبادة*آشى* رمز الإخصاب قد انتقلت من آسيا الصغرى إلى سوسة.

وهناك تماثيل برونزية للإنسان رافعاً ذراعيه باسطاً راحتيه للأمان كما يفعل العابد الذي يقدم القربان للآلهة (الشكل: ١٠) وكانت هذه التماثيل تدفن مع الموتى رمزاً لخضوعهم للآلهة. وجاءت التماثيل تصور الرجال والنساء عراة لا يحملون غير الحلي والأسلحة[٤٩].

[٤٩] المرجع السابق نفسه، ص.٩٤-٩٥.

الشكل:٩ دبوس برأس على هيئة قرص الإلهة آشى من البرونز

الشكل:١٠ تمثال عابد من البرونز، لورستان.

يوحي التطلع إلى برونزيات لورستان بتعرف المنابع التي نهلت منها محارف البدو السيمريين والميديين الذين استقروا في الجبال. وما من شك في أن مشاركة عيلام وبابل وآشور وأورارتو كانت مشاركة بناءة.

وإذا كان الشعب السيمري قد اعتاد دفن الجياد مع أصحابها عند موتهم فقد استبدل أهل لورستان بهذه الجياد أعنّة تصنع خصيصاً لتوضع تحت رأس الميت حتى تضمن له الخلود، وقد عثر في إحدى المقابر على لجام برونزي يمثل شخصاً يتوسط صهوة حصانين (الشكل: ١١).

كذلك كانت البلطة تدفن مع الموتى في مقابرهم (الشكل: ١٢) مما يرجح أنها كانت ذات قيمة رمزية جنائزية. وإحداها من البرونز شكلت إحدى حرابها الخمس على هيئة عقاب ذي منقار. كما نقش فوق نصلها شخص خرافي يرتدي قلنسوة ويحتضن سمكة ضخمة ترمز إلى الإله *إيا* الذي كان يعبد في بلاد الرافدين، كما قد نرمز إلى الإله داجون معبود الكنعانيين (الشكل: ١٣).

وتدلنا بعض الأواني الي عثر عليها بمقابر لورستان على تأثر قوي بالفن الآشوري، وهي وإن بدت آشورية الموضوع فمن العسير أن نقطع بأنها آشورية التنفيذ، فنحن نعلم أن الآشوريين كانوا يستأجرون عمالاً-ولاسيما صناع المعادن- من البلاد المجاورة، ولذا نستطيع الزعم بأن محارف لورستان كانت تضم صناع برونز عملوا

من قبل بمحارف آشور. ويفسر لنا هذا الموضوعات المعالجة على الأواني والأسلحة (الشكلان:١٤-١٥). كذلك عثر في لورستان على إناء من عجينة الزجاج أصفر اللون مزدان بأنصاف دوائر سوداء متراصة مما يؤكد تأثير مصر المسلم بانتشار حضارتها على شواطئ البحر المتوسط منذ بداية القرن الثامن قبل الميلاد. وليست ثمة حضارة قديمة تركت لنا مثل هذا القدر من الأدوات المعدنية المتنوعة الأشكال[٥٠].

الشكل:١١لجام من البرونز، لورستان.

[٥٠] المرجع السابق نفسه، ص ص.٩٥-٩٦.

الشكل: ١٢

بلطة من البرونز، لورستان.

الشكل:١٣

بلطة من البرونز، ذات ماسورة وصل، تحلت بأطراف مدببة ورأس عقاب، نقش على النصل صورة شخص يحمل سمكة بين ذراعيه.

الشكلان: ١٤-١٥ إناءان شعائريان من البرونز، لورستان.

الفن الميدي[٥١]:

كان **الفن الميدي** فناً تلفيقياً. وعلى غرار السكوذيين وأقوام لورستان كان الميديون مولعين بالأسلحة المزخرفة والأواني المشكّلة من المعادن الثمينة وبالثياب الملونة المطرزة. وما من شك في تأثرهم بالفنون الآشورية، نحتت مقابر صخرية (الشكلان:١٦-١٧) في جبال كزباكان وساكافاند، تلقي بعض الضوء على عمارة هذا

[٥١] ميديا هي موطن الميديين، وهي الاسم القديم للطرف الشمالي الغربي من إيران الذي يضم الآن أذربيجان وكردستان وجانباً من كرمنشاه وكانت عاصمتها إكباتان/همذان الحالية.

العهد. كما أنّ بعض المعالم المعمارية التي اتسمت بها المباني الفارسية اللاحقة في باسارجاده وبرسيبوليس نقلاً عن أورارتو قد وصلت إلى الفرس عن طريق الميديين.

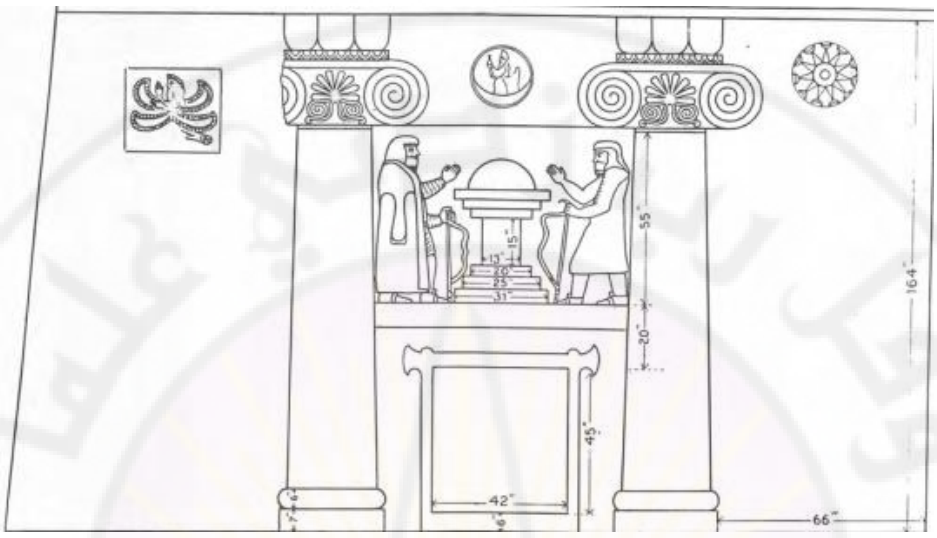

الشكل:١٦ كزباكان. مقبرة صخرية مخصصة لجمع عظام الموتى.

الشكل: ١٧ سكافاند (جنوب بيستون): مقابر منحوتة في الصخر مخصصة لجمع عظام الموتى.

كنز جيحون/كنز أوكسوس:

اكتشف الكنز بمنطقة بختياري على ضفة نهر جيحون الذي يصب في بحر آرال، وهو يثري معرفتنا **بالفن الفارسي قبل الحضارة الأخمينية**. يؤرخ إلى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. وهو يضم عشرات اللوحات الذهبية المنقوشة بشخصيات تحمل حزمة من الأغصان (برسوم). ولم تكن قيمة هذه اللوحات تتوقف على الناحية الجمالية فيها وإنما كان ثمنها يقدر بما تحوي من ذهب لا بما يبذل فيها الفنان من إبداع (الشكل: ١٨). وجدت ضمن الكنز أيضاً عربة ذهبية ذات مقاعد تجرها جياد أربعة (الشكل: ١٩) يرتدي سائقها ومساعده ثياباً وحلياً إيرانية. تمثل هذه العربة أحد النذور المقدمة للآلهة مما يعني بأن هذه المجموعة من اللقى كانت خاصة بأحد المعابد[٥٢].

الشكل: ١٨ كنز جيحون، لوح ذهبي يمثل شخص يحمل أغصان

[٥٢] المرجع السابق نفسه، ص ص.١٠٥-١٠٦، ١٠٨.

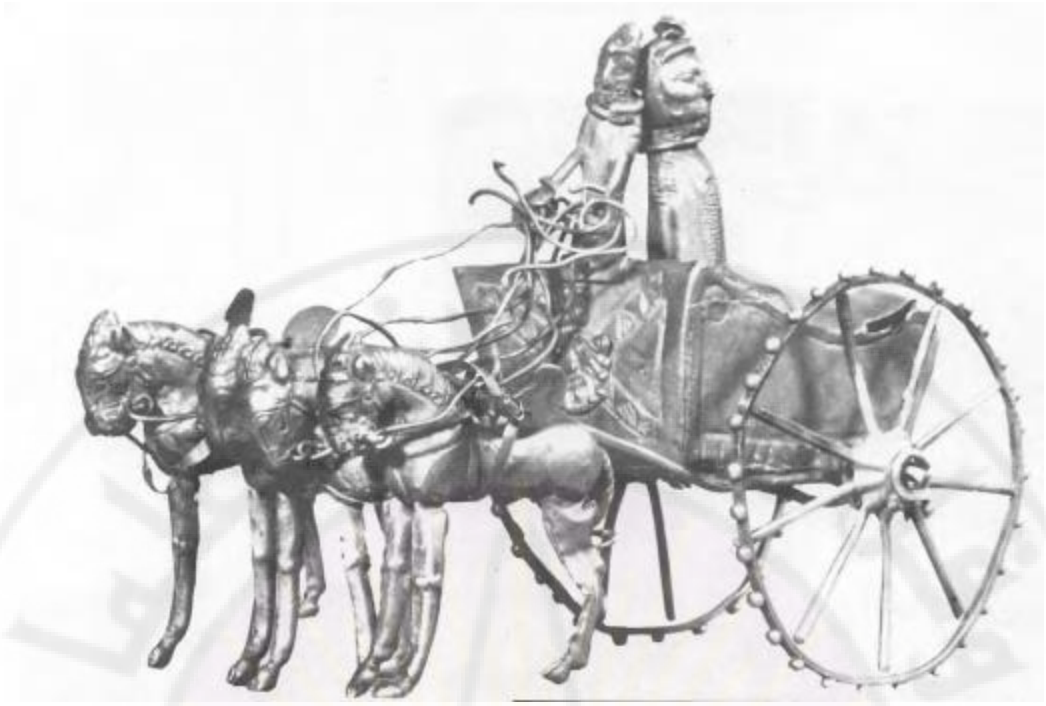

الشكل: ١٩ كنز جيحون، عربة ذهبية لعربة تجرها خيول.

الفن السقيثي (السكوذي)

كُشف عرضاً عن موقع زيفييه[٥٣] في المنطقة التي احتلها السكوذيون، واتخذوا منها قاعدة لغزواتهم صوب أواسط آسيا. وقد عُثر على **كنز داخل قبر ملكي منحوت في تل صخري**، دفنت به جثة الملك مع إحدى محظياته. وقد احتوت المقبرة على مجموعة من الأدوات الخاصة بالملك مثل درعه وغمد سيف، وأثاث مطعم بالعاج ودبابيس لضم أطراف الملابس من معادن مختلفة، وأوان فخارية وأخرى ذهبية ملكية. يفيض الكنز بتقنية وأسلوب وموضوعات تصويرية ذات سمات زخرفية.

تنوعت محتويات الكنز ما بين اللوحات الذهبية والعاجية التي تزين الأثاث-سواء كان عرشاً أو سريراً- وتمثال سكوذي عاجي (الشكل: ٢٠)، والسوار الذهبي الرائع الصنع الذي كان يملكه الأمير السكوذي، بالإضافة إلى التمائم التي كانت تعلق أو تخاط في الملابس، وهي تمثل زهوراً أو صلباناً أو تيوساً صغيرة وما إلى ذلك.

[٥٣] يقع موقع **زيفييه** الأثري في محافظة كردستان شمال غربي إيران، على مسافة ٥٠كم شمال شرقي مدينة سقز.

وقد خلّف السكوذيون مجموعة من قرون الشراب يمكن تقسيمها إلى مجموعات أربع: جاءت أولها وفق أشكال البطة. وثانيها تحاكي رؤوس الظباء، والثالثة كؤوس بديعة عريضة الحواف تتخذ شكل رؤوس الكباش والأغنام[٥٤].

الشكل: ٢٠ تمثال سكوذي عاجي

الفن الأخميني

كان الميديون والفرس إحدى موجات الزحف الآري التي استقرت فوق الهضبة الإيرانية. وكان الميديون شأنهم شأن السيمريين والسكوذيين-شعباً من الفرسان لا يملكون غير ما يحملونه على صهوات جيادهم من أسلحة وأواني وحلي معدنية. وقد تأثر فنهم كما أسلفنا بفن جيرانهم الشماليين السكوذيين وخصومهم الآشوريين.

أما الفرس الذين استقروا في الجنوب بعد إقامتهم عهداً شمالي إيران في ظل الميديين، فقد أخذت فنونهم تمثل مزيجاً من فن الشمال وفن الجنوب. كما استوعب هذا الفن عناصر من فنون أجنبية في أعقاب توسع هذه الإمبراطورية التي امتدت من نهر

[٥٤] المرجع السابق نفسه ص ص. ١١٣-١١٥.

النيل إلى نهر السند. وهكذا ظهر فن ملفق، لم يبقَ منه إلا بضعة أعمال أنجزت للبلاط الملكي[٥٥].

العمارة الأخمينية

اتخذ الأخمينيون في البداية مقراً لعاصمة ملكهم في الموقع المعروف باسم **مسجد سليمان**[٥٦]. ومن ثمّ نقل قمبيز الأول عاصمة ملكه إلى **باسارجاده**، إلى أن أحالها قورش الثاني من بعده إلى عاصمة امبراطورية. نتعرف في باسارجاده على **بقايا ثلاثة مبان أساسية هي: بوابة القصر وقصر الجلسات (الإقامة) وقصر الاستقبال**[٥٧].

مكان إقامة قورش الكبير الذي شيده في باسارجاده (الشكل: ٢١) يؤكد شكل وسمات الطابع البدوي حيث تظهر **أواوين** منفصلة ومتباعدة مقامة في **ساحة** رحبة يحيطها سور سميك سمكه نحو ٩م، يتقدم هذه الساحة **بوابة ضخمة تذكارية** كان يحرسها اثنين من الثيران المجنحة من الخارج ومن الداخل اثنين من الأشخاص برؤوس ثيران من الطراز الآشوري من الحجر الجيري الرمادي. **والصالة** (G) بها ثمان أعمدة مقامة على قواعد من الحجر الأسود وهي لتدعيم سقف الحجرة، هناك حجرات أخرى على الجانب الآخر، وقد بقيت إحدى عضادات أو سنادات الأبواب ويظهر عليها بالنحت البارز شكل عبارة عن شخص رباعي الأجنحة يرتدي على رأسه تاج مركّب (الشكل: ٢٢) ويحمل نقش : "**قورش ملك الأخمينيين**".

على بعد ٦٠٠ياردة توجد صالة الاجتماعات (S) وهي تتكون من صالة مستطيلة محاطة بأربع ممرات معمدة، والدخول كان من الجانب الجنوبي الغربي الذي يحيط مدخله اثنين من الأبراج المربعة، ويوجد بداخل الحجرة مشكاوات. أطر الأبواب كانت من الحجر وكان يتم إضاءة الحجرة من أعلى عن طريق نوافذ علوية عن طريق رفع السقف فوق أعمدة يبلغ ارتفاعها ١١م، أما ارتفاع أعمدة الممرات المحيطة كان نحو ٥.٥م.

كان للحجر المستخدم في باسارجاده لونان، قواعد الأعمدة كانت بلون أسود والأبدان باللون الأبيض، أما المشكاوات كانت سوداء وأطر الأبواب والجدران باللونين الأبيض.

---

[٥٥] المرجع السابق نفسه، ص.١٢٥.

[٥٦] في خوزستان بالجنوب الغربي من إيران، وتحديداً جنوب شرقي سوسة. ويسمّى أيضاً مشهد السليمان.

[٥٧] المرجع السابق نفسه، ص ص.١٢٩-١٣٠.

كانت هناك منحوتات على الباب المؤدي إلى حجرة الاجتماع، ولكن محفوظ منها فقط الأجزاء السفلى، فعلى الأبواب الموجودة في الجوانب القصيرة نرى شكلين أولهما مخالب وبراثن طيور، على الجوانب الطولية توجد منحوتات تصور ثور/عجل يقوده ثلاثة رجال حفاة، ربما كهنة.

المبنى الآخر (P) والذي يقع على بعد ٩٢م إلى الشمال تم تفسيره على أنه **قصر الإقامة، مقدمته** تتكون من ممر معمد مفتوح مكون من صفين من الأعمدة في كل صف٢٤عمود ارتفاعه ٥.٥م. هناك دكة/مصطبة من الحجر الجيري الأبيض وقمتها باللون الأسود، كذلك هناك أشرطة باللون الأسود تتخلل الأرضية البيضاء. يوجد بعد ذلك باب يؤدي إلى **الصالة الوسطى** والتي كانت مربعة وتحتوي على ٣٠عمود، ليس هناك بقايا لتيجانها. هناك ممر معمد آخر في نهاية المبنى، وعلى الجوانب هناك عدد من الحجرات الصغيرة مغلقة ومبنية من اللبن الني وكذلك الأرضيات، ربما كانت حجرات المعيشة[٥٨].

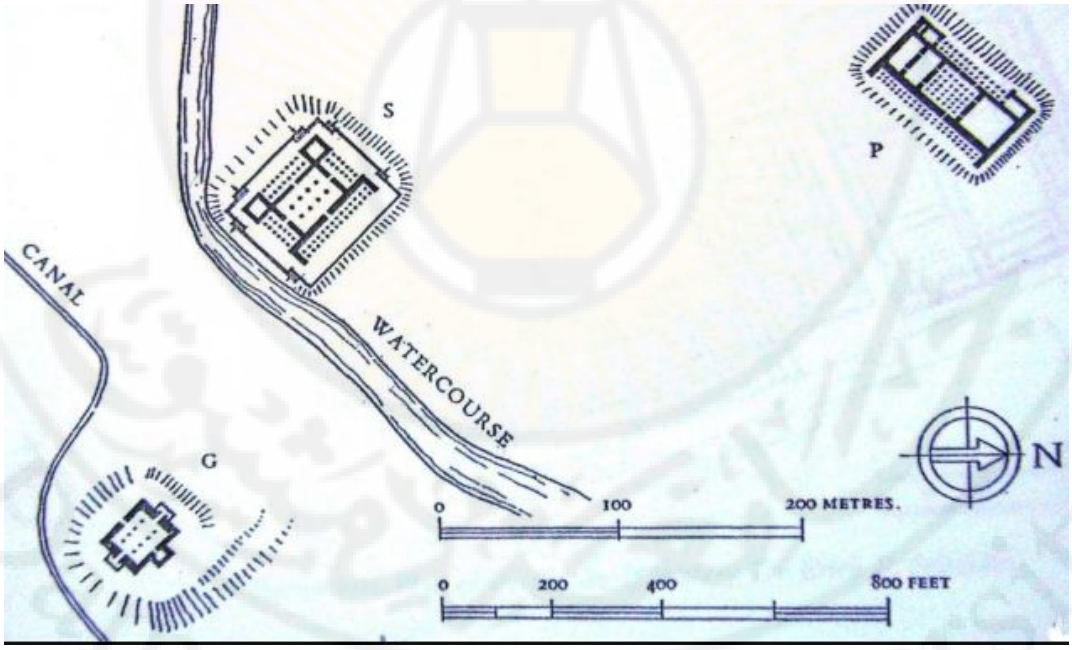

الشكل: ٢١ باسارجاده، مخطط المدينة.

[٥٨] إبراهيم، فتحية جابر، (د.ت): **العمارة الفارسية**، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ص ص.٢-٣.

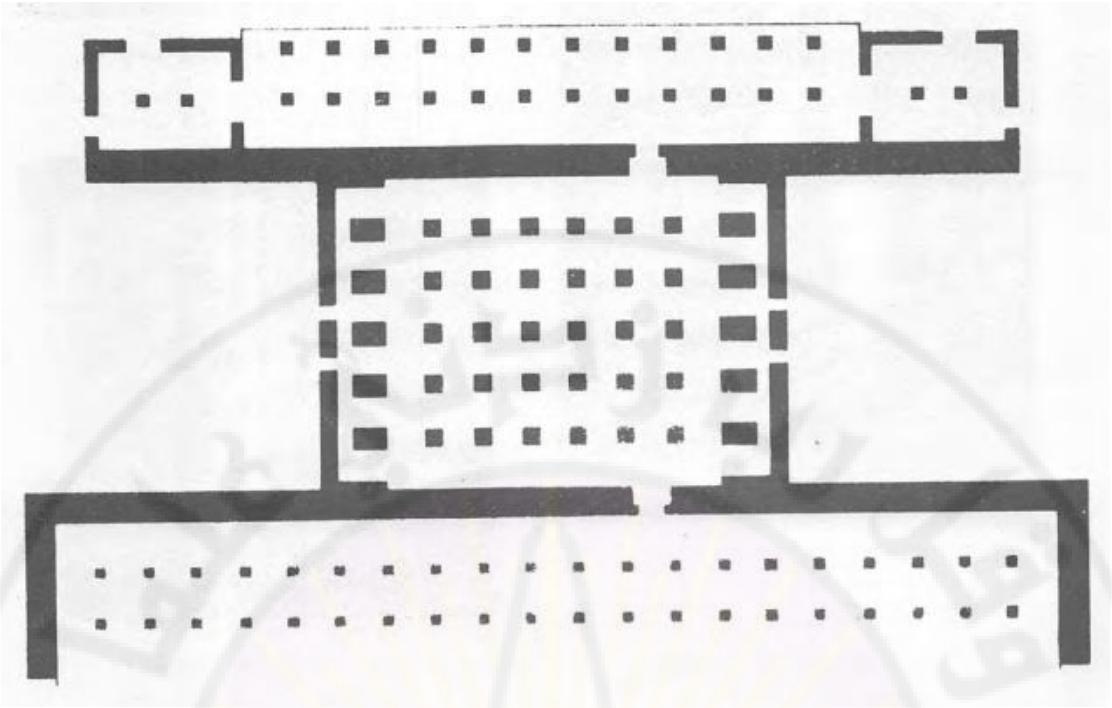

تفصيل قصر إقامة قورش الكبير

الشكل: ٢٢ الشكل المجنح على أحد سنادات الأبواب من باسارجاده

سوسة

نقل داريوش عاصمته السياسية إلى سوسة. نظراً لقربها من الخليج العربي، ولكونها نقطة البداية لخطين ملاحيين ينطلق أحدهما إلى مصر ويمضي الآخر إلى الهند، كما عبّدت طرق رئيسة لربط سوسة بكل من باسارجاده وإكباتانا وبابل.

كانت سوسة عاصمة مملكة عيلام (خوزستان). وقد شيّد داريوش الكبير فيها عاصمة الامبراطورية الأخمينية الفارسية. حيث شيد **قصراً** وفق الطراز المعماري لباسارجاده ومسجد سليمان وسط مصطبة فسيحة تضم أجزاؤه الرئيسة الأربعة: المدخل الكبير وقاعة الجلسات وقاعة الاستقبالات وجناح السكنى.

سجّل أحد النقوش أن داريوش أنجز هذا العمل العظيم بحشد موارد الإمبراطورية كلها من أجل المشاركة في بناء هذا القر، فاستجلب خشب الأرز من لبنان والذهب من بختياري والفضة والأبنوس من مصر والعاج من الحبشة. وشارك الميديون في صياغة الذهب، كما قام المصريون بنقش الخشب، مما يظهر مدى اتساع رقعة الإمبراطورية ومدى مشاركة شعوبها استجابة لنداء هذا الملك العظيم.

عاشت شعوب عديدة في أرجاء هذه الإمبراطورية من الإثيوبيين إلى الميديين ومن الإغريق إلى الهنود مشاركين بمهارتهم في تشييد هذا القصر. وقد زخرت جدران القصر بوفرة من المشاهد الثرية الألوان، وازدانت قوالب الآجر المزجج برماة السهام والحيوانات الخيالية. كما نجد إلى جانب الحيوانات الملفقة الحارسة موكب الخالدين (الشكل:) من أفراد حرس داريوش الخاص. ونشهد في سوسة أفاريز مخصصة لصفوف من الحرس.

وحين أتى الحريق على قصر داريوش، شيد في مدينة سوسة في الربع الأخير من القرن الخامس ق.م قصراً صغيراً لإقامته الملكية[٥٩].

[٥٩] عكاشة، ثروت، المرجع السابق نفسه ص ص.١٣٥-١٣٧.

الشكل: ٢٢ سوسة، لبن مزجج رماة الحرس الملكي"الخالدون"

برسيبوليس (تخت جمشيد)

بدأ داريوش في تشييد عاصمة جديدة للإمبراطورية الأخمينية الفارسية، واختار لها موقعاً يبعد٤٠كم جنوبي باسارجاده في موطنه الأصلي في إقليم فارس، لكنه توفي قبل أن يكتمل بناءها، فتابع ابنه ثم حفيده عملية البناء. وقد اتخذت العاصمة الجديدة طابعاً خاصاً، فهي لم تكن عاصمة سياسية أو إدارية بل كانت تمثل قطيعة تامة مع تقاليد الدول الآسيوية الكبرى مثل بابل وآشور وعيلام التي سبقت الإمبراطورية الفارسية في هذه الرقعة من العالم[٦٠].

استمر العمل بهذه المدينة نحو خمسين عاماً، خلال فترات تاريخية ناجحة من عهد داريوس الأول الذي بدأها في ٥١٨ق.م، وخلال حكم إكسركسيس إلى حكم أرتاكسيركسيس الأول في ٤٦٠ق.م.

[٦٠] المرجع السابق نفسه ص.١٤٢.

كان يحيط بالمدينة الجبال من الشمال والشرق، مقاييس المدينة نحو (٤٥٧X٢٧٤م) وارتفاعها (١٢.٥م). يحيطها سور من الطوب النيء (الأخضر/غير المشوي) ارتفاعه يتراوح ما بين (١٣.٧X١٨.٣م) له مدخل واحد فقط في النهاية الشمالية الغربية وهو عبارة عن بوابة (k) نصل إليها عن طريق درجات سل ضخمة (L) والتي كان يحرسها مجموعات من أشكال الفرسان. بنى هذه البوابة إكسركسيس والتي أطلق عليها مسمى (كل البلاد) وربما كان يقصد بذلك أن كل الناس من مختلف أنحاء الأرض يمرون من خلالها لتقديم الولاء والطاعة للملك. هذا المدخل يشبه مثيله في باسارجاده في وجود حجرة وكذلك الثيران الخارجية التي تحميها والرجال برأس ثيران أيضاً. وبالاتجاه إلى اليمين نصل إلى صالة الاجتماعات (J) التي بدأها داريوس الأول وأكملها إكسركسيس الأول وهي مقامة على مصطبة منفصلة بمفردها. خلف حجرة الاجتماعات نجد صالة العرش، الة المائة عمود (M) التي بدأها إكسركسيس وأكملها ابنه. هاتان الصالتان المربعتان ربما كانت مقامتان لتفصلا مباني العامة عن الأجزاء الملكية التي تقع خلفهما، الدخول إلى ذلك كان عن طريق درجات سلم موجودة في النهاية بين صالتي الاجتماع. والتي تؤدي إلى المبنى (E) والذي يسمى التريبلون لأن به بالإضافة إلى مدخله ومخرجه باب ثالث يؤدي إلى مستوى مبني الحريم في الشرق.

وعندما نتجه نحو الغرب نمر من خلال بقايا المبنى (G) والذي ربما شيده أتاكسركسيس الثالث لنصل إلى قصر داريوس الأول (I). أما المبنى (H) الذي يقع إلى الجنوب يعتقد أنه شيد من بقايا بناء أقدم منه كان قد أحرقه الإسكندر الأكبر. يليه قصر إكسركسيس (F) وبقايا مبنى آخر (D)[٦١].

والبناء الذي يتخذ شكل حرف (L) المجاور للصالة D يطلق عليه اسم الحريم أما (B) فيسمى مبنى الخزانة. يشبه مخطط مدينة برسيبوليس عامة مخطط مدينة باسارجاده، مع الفارق في كمية المباني المقامة في برسيبوليس.

جنوب الصالة المعمدة والتي تشبه الصالتين (J, M) تظهر مجموعة من الحجرات مكونة مجموعات تدور حول ثلاثة أفنية على نمط القور في بلاد الرافدين، ولكن الحفائر الي تمت بها كانت بشكل مهمل لأنه ليس من المؤكد أنه يوجد مثل هذا الطراز الرافدي في مخططات العمارة الأخمينية في تلك الفترة؛ حيث أن عمارة الأخمينيين بشكل ملحوظ هي في الأصل خاصة بهم من حيث استخدام الأعمدة وغلبة الحجرات تميل إلى الاستطالة، لكن في برسيبوليس فإن المخططات أعيد عملها جميعاً حول الشكل المربع، حيث تبدو الحجرة المربعة وكأنها وحدة مستقلة بذاتها

[٦١] إبراهيم، فتحية جابر، المرجع السابق نفسه، ص.٤.

مثل بوابة إكسركسيس (k)، وكذلك في جميع الحجرات الرئيسية التي ذكرناها من قبل في الصالات المعمدة J,M,I,F,H,C. لذلك نجد أن الإصرار في استخدام الحجرات المربعة كان من أهم ملامح العمارة الأخمينية والتي تأسست أثناء فترة حكم داريوس، بينما في عهد قورش كان كل من العمارة والنحت مازالا في المراحل التجريبية.

وقد كتب الكثير حول أصل الصالات المعمدة الأخمينية والتي ربما اشتقت من العمارة الميدية التي لم يتبقَ منها شيء.

صالة اجتماعات داريوش J كانت بناء مهيب حيث كانت مساحتها نحو ٧٦م٢، ارتفاعها ١٨.٣م ويقال إنها كانت تتسع نحو ١٠٠٠٠شخص، في أركانها الأربعة أربع أبراج تحتوي على حجرات للحراسة يتخللها درجات سلم للصعود إلى أعالي الأبراج. هناك ممرات معمدة على ثلاثة جوانب، وحجرات للخدم في الجانب الرابع وهو الاختلاف بينه وبين قر قورش في باسارجاده. استبدل السور المرتفع الذي كان يحيط بالمدينة بسور آخر قصير يقف على حافة الموتفع.

تم زخرفة السلالم الضخمة التي تؤدي إلى الالة بالموكب العظيم الضخم لحاملي الجزية والضرائب (الشكل:٢٣)، المصورين حاملين للهدايا مثل بعض الحيوانات منها الخيول والأسود والحمار الوحشي، ومنسوجات وأسلحة مثل الخناجر والمجوهرات والأواني المصنوعة من المعادن ويصاحب هذه الوفود حراس القصر الملكي والنبلاء وحاشية الملك (الشكل: ٢٤).

صالة العرش أو صالة المائة عمود M التي بدأها إكسركسيس وأتمها أرتاكسركسيس الأول تقف في أقى النهاية الجنوبية لفناء يتقدمه بوابة تذكارية تشبه بوابة كل البلاد التي ذكرناها من قبل والتي تسمح بالدخول إلى الصالة، لذلك فإن صالة العرش كان يمكن الدخول إليها من الممر المعمد الموجود في الجانب الشمالي والذي به نحو ١٦ دعامة وشكلين ضخمين للثيران كحراس عند برجي الأركان في المقدمة. ومن الجوانب الثلاثة الأخرى يحيطها ممرات ضيقة لتسهيل القيام بخدمة المكان. هناك كذلك بابين في كل حائط ونحو سبعة نوافذ بأطر حجرية في الجدار الموجود بين الصالة والممر المعبّد، أما باقي الجدران كانت توجد بها مشكاوات بدلاً من النوافذ. تم زخرفة الأبواب من الداخل بالنحت البارز، فعلى البابين الموجودين في الجوانب الشمالية والجنوبية والتي توضح مناظر تتويج الملك أما منحوتات الأبواب الموجودة في الشرق والغرب فهي تصور الملك في صراع مع بعض الوحوش[٦٢].

[٦٢] المرجع السابق نفسه ص ص.٥-٦.

في قصري الإقامة F-I نجد أيضاً الممر المعمد به صف مزدوج من الأعمدة المؤدية إلى الحجرة الرئيسية المربعة، ولكنها محاطة من ثلاث جوانب بحجرات صغيرة، ففي باسارجاده فإن هذا البناء كان متمثلاً في القصر P.

مبنى آخر مشابه إلى حد ما C الذي يقع أمام مبنى الحريم بأقسامه الاثني عشر، كل واحد منها يتكون من حجرة مربعة تتصل بواحدة أو اثنين من الحجرات الطويلة الضيقة. وهذا المبنى C يقابله عبر الفناء مجموعة C1 والتي تم تفسيرها على أنها مكان سكن الحراس. ولوجود ارتباط بين C وC1 فإن المبنى الأول ربما كان يحتوي على حجرة ملابس الملك.

إلى الشرق من الحريم يقع المبنى B والذي يسمى مبنى الخزانة الذي أطلقه مكتشف المبنى عليه والذي كان يقصد بهذا المسمى المخزن الملكي ومستودع الأسلحة. وهو محاط بجداربه فجوات، وله مدخل واحد فقط يؤدي إليه ويميزه عدد الصالات الكثيرة المعمدة التي يحيطها دهاليز ضيقة.

والمدخل الوحيد يؤدي إلى حجرات الحراسة مؤدياً إلى الفناء B الذي يحيطه أربع ممرات معمدة، في اثنين منها توجد أورثوستات (الأجزاء السفلية من الجدران) مزينة بمنحوتات تصور داريوس يستقبل مسؤول رسمي. وقد تم العثور على الآلاف من رؤوس الرماح والأقواس وعدد آخر من الأسلحة والمئات من ألواح الكتابة في الحجرات المحيطة. أعمدة أو دعامات هذه الحجرات كانت من الخشب المغطى بالملاط والذي تم تلوينه بالأزرق والأحمر والأبيض (الشكل:٢٥)[٦٣].

[٦٣] المرجع السابق نفسه ص ص.٦-٧.

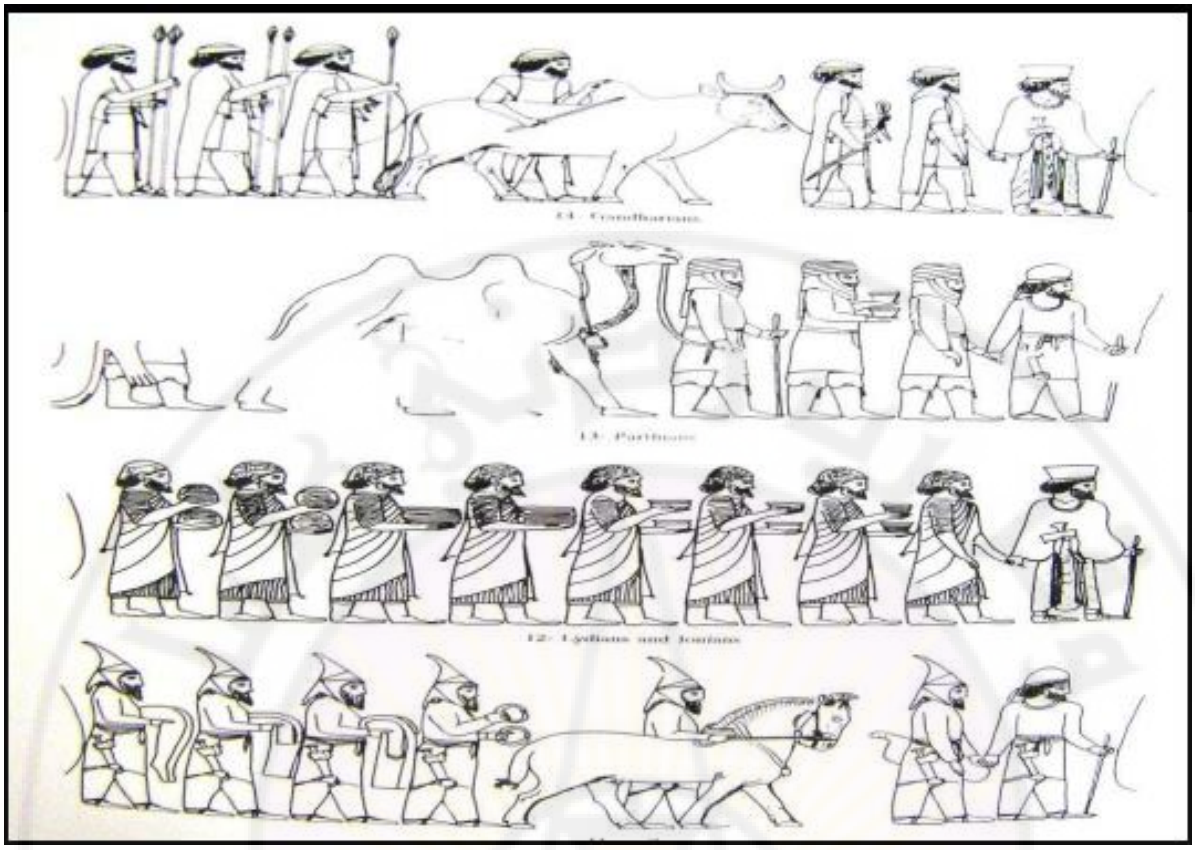

الشكل:٢٣ موكب الوفود حاملي الجزية

الشكل: ٢٤ شكل منحوت يظهر النبلاء يرتدون الزي الميدي والفارسي.

الشكل: ٢٥ عمود من الخشب مغطى بالملاط الملون من مبنى خزانة برسيبوليس.

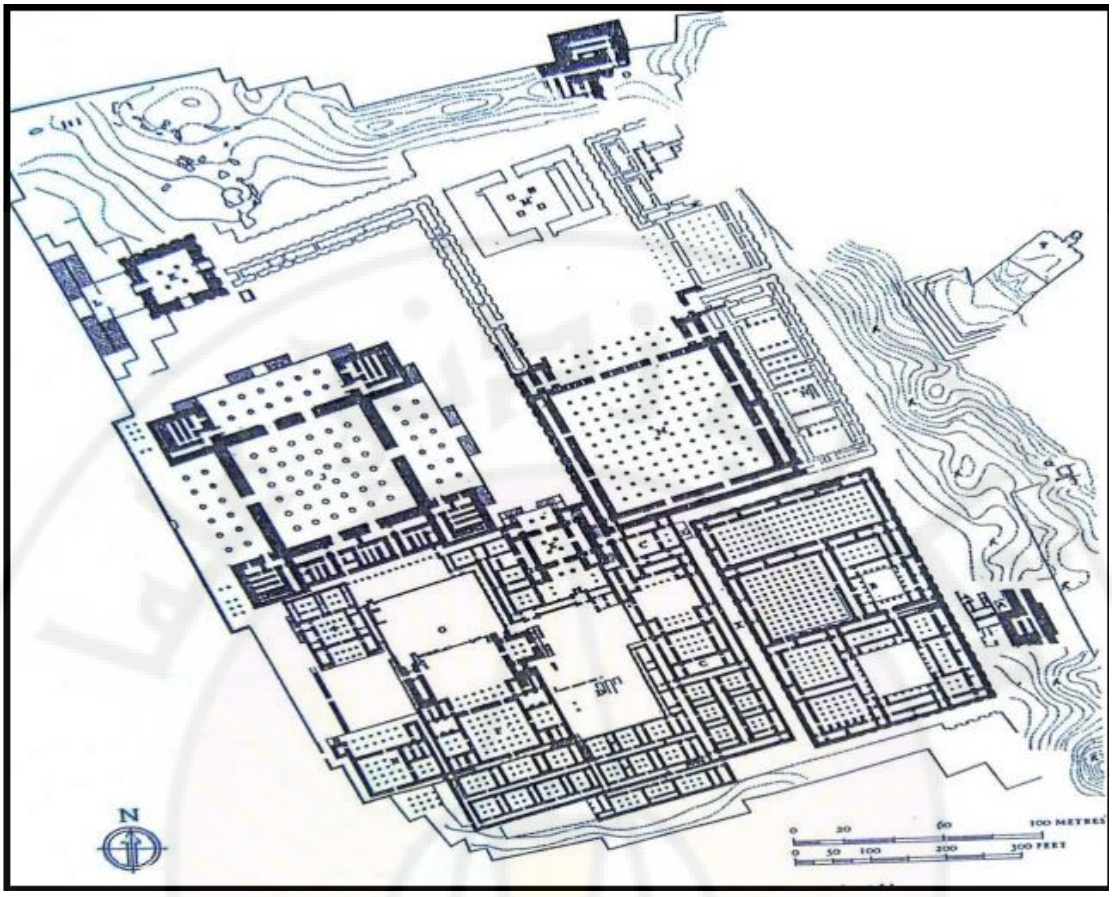

الشكل: ٢٦ مخطط مدينة برسيبوليس

A التحصينات الشرقية

B مبني الخزانة

C مبنيHarem

C1 مكان سكن الحرس

D بقايا بناء

E التريبلون

F قصر إكسركسيس

G بقايا مبني

H قصر غير معروف صاحبه

I قصر داريوس الأول

J صالة اجتماعات داريوس الأول

K بوابة إكسركسيس التذكارية

L درجات السلالم الضخمة المؤدية للمجموعة

Mصالة عرش إكسركسيس

Nبقايا مباني لازالت تخضع للحفائر

O التحصينات الشمالية

P المقبرة الملكية

Qصهريج

Xالشارع الموجود بين مبني الخزانة و Harem

الفن البارثي:

في تلك الفترة التي عاشتها إيران بعد غزو الإسكندر وامتلاك السلوقيين ناصية الحكم عليها، حتى استرداد متيرادات الثاني مؤسس الأسرة البارثية[٦٤] عرش فارس، سادت البلاد فوضى سياسية خلّفت آثارها في مجال الفنون. وكانت قد تكونت في إيران جالية يونانية كبيرة ظلت متمسكة بروحها الغربية وتقاليدها المتأغرقة، ظهرت إلى جانبها طبقة إيرانية كبيرة تأثرت بالتقاليد اليونانية مما تجلى أثره في إبداع الفنانين الإيرانيين الذين لم يبقَ غير القليل منهم ملتزم بطابع الفن الأخميني. وهكذا اجتمعت في إيران خلال هذه الحقبة ثلاثة أنواع من الإبداع الفني: نوع متأغرق خالص تعذر تحديد جنسية مبدعيه، ونوع إيراني تأثر بالتقاليد المتأغرقة، وثالث إيراني خالص.

نرى آثار الفن المتأغرق الخالص في التماثيل الصغيرة لآلهة الإغريق كديميتير وأثينا وزيوس، ونرى تأثر الفن الإيراني بالفن اليوناني في أطلال معبد في كنجور على الطريق كومنشاه وهمدان.

ويتجلى إضفاء الصبغة الإيرانية على العناصر الإغريقية المعمارية أكثر ما يتجلى في **كورها** (الشكل:٢٧)، في غربي إيران، حيث نرى الأعمدة الأيونية قد استطالت واتخذت نسباً جديدة وشكلاً يتفق مع الروح الإيرانية.

وتتضح آثار الفن المعماري البارثي الخالص في المعابد البرجية الشكل المخصصة لعبادة النار التي ظل الإيرانيون مخلصين لها. وقد تكون التعديلات التي أدخلت على بناء هذه المعابد –التي يعد معبد مدينة **نوراباد** (الشكل:٢٨) بفارس نموذجاً لها- وليدة تجديدات طرأت على عقيدة عبادة النار نفسها، فقد أضيف إلى المعبد سلم داخلي يؤدي إلى السطح حيث أصبحت تقام الهياكل الخاصة بعبادة النار، وخلت الجدران من الكوى والنوافذ الصماء، كما خلت أعتاب الأبواب من الحليات المعمارية الزخرفية[٦٥].

[٦٤] أشك مؤسس الأسرة البارثية، لكن متيرادات الثاني هو الذي انتزع عرش فارش.
[٦٥] عكاشة، ثروت، المرجع السابق نفسه، ص ص.٢١٣-٢١٤.

الشكل: ٢٧ كورها، غربي إيران، عمودان من أصول أيونية

الشكل: ٢٨ معبد نوراباد بفارس

نشط البارثيون في بناء المدن وإقامة المعابد والقصور، وشيدوا **نيزا** عاصمتهم الأولى على الحافة الغربية لصحراء "قره قرم" قرب السهول التي كانت تقطنها قبائله، وأقاموا بها قصراً ملكياً محاطاً بالأبنية الطقسية.

ويعد البيت المربع بفنائه المكشوف وإيواناته الأربعة من أقدم النماذج على هذا الطراز الذي أدخله البارثيون في إيران، ثم امتد إلى الحضر في العراق. وقد اتخذت مبانيهم تصميمين مختلفين، أحدهما هو الذي ظهر في دورا أوروبوس حيث المنزل البابلي ذي الفناء الداخلي مثل قصر داريوش بسوسة، والثاني هو التصميم الإيراني الكلاسيكي للمنزل ذي الإيوان كما هي الحال في آشور والحضر.

واحتفظ البارثيون أثناء زحفهم نحو الغرب بالشكل الدائري في تخطيط مدنهم بعد أن اقتبسوه من تخطيط المعسكرات الدفاعية. ومما يسوغ مواصلتهم اتباع هذا التخطيط حالة الاضطراب التي سادت إيران خلال عهد التحرير الذي بدأوه بالثورة على الاحتلال، فقد اتبعوا هذا التخطيط في الحضر على حدود العراق دفاعاً عن بلادهم ضد الجيوش الرومانية. أما العمارة البارثية في الهضبة الإيرانية فلم تحظَ من الدراسة الأثرية إلا بقدر ضئيل، وذلك لقلة ما تخلف من مبانيها، وإن كنا نلحظ بصفة عامة أنهم قد شيدوا عمائرهم على أطراف هذه الهضبة في العراق بالوركاء وآشور والحضر وفي الأقاليم الشرقية في نيزا (في تركمنستان) وكوه خواجا (في سيستان وبلوشستان)[٦٦].

وتعد لوحة الكونون (الشكل:٢٩) أشهر اللوحات الجدارية التي خلفها البارثيون والتي تصور كاهنين في ثياب بيضاء وعلى رأسيهما عمامة الكهنوت وهما يقدمان قرباناً للآلهة باسم إحدى العائلات. وقد تجلت فيها-على الرغم من الصرامة والجمود الإيرانيين الواضحين-تيارات عدة مختلفة تؤكد تأثر الفن البارثي بالفن السامي المنتشر في بلاد الرافدين والذي ينزع إلى الروحانيات، وتأثره كذلك بالفن اللورستاني في أطراف إيران إذ تبنى قاعدة المواجهة التي استبعدها الفن الأخميني، والتي توحي هنا بطابع شعائري، وتأثره أيضاً بالفن المتأغرق في ترتيب الشخوص والميل إلى حشد اللوحة بشخوص ثانوية. ولا ترجع شهرة هذه اللوحة إلى جمالها بقدر ما ترجع إلى أهمية التيارات المختلفة التي تلاقت فيها[٦٧].

[٦٦] المرجع السابق نفسه ص ص.٢٢١-٢٢٢.
[٦٧] المرجع السابق نفسه ص ص.٢٢٧-٢٢٨.

الشكل: ٢٩ لوحة الكونون، دورا أوروبوس

ومن الجدير بالذكر أنه في ظل حكم البارثيين الذي استمر خمسمائة عام بدأت من القرن الثالث قبل الميلاد اتسعت رقعة الإمبراطورية الإيرانية وشملت المساحات الممتدة من نهر الدانوب ومصب نهر السند وبين الفرات ومشارف الصين. فنشرت بها الحضارات الشرقية القديمة، وأوقفت الزحف الإغريقي الروماني وصبغت المنطقة بصبغة فنية واحدة تستمد أسسها من حياتهم المرتبطة بالفروسية والحرب وصراع الحيوان[٦٨].

[٦٨] المرجع السابق نفسه، ص.٢٣٥.

الفن الساساني:

الفن الساساني تحت حكم أردشير مؤسس الأسرة (٢٢٤-٢٤١م):

بنى أردشير[٦٩] عاصمته الأولى (جور/Gor) (فيروز آباد اليوم في جنوبي إيران)على شكل دائرة (**الشكل**:٣٠) وفقاً لتقاليد البارثيين، وأقام وسطها بيتاً للنار من الحجر. وشيد قصره خارج المدينة من الحجر غير المنحوت والمونة، واستخدم الجص لتمليسها. والتأم في القصر جناحاه المنفصلان من قبل في الفن المعماري الأخميني، وهما الجناح الرسمي، أي قاعة الأبادانا والقاعات المربعة التي تليها، وجناح المعيشة المكون من بضع حجرات حول صحن داخلي. وأمر أردشير بتخليد المعارك الفاصلة التي خاضها للفوز بعرش إيران بنقشها على الصخرة المشرفة على الممر الضيق المفضي إلى مدينة فيروز آباد[٧٠]، والتي تعد أقدم النقوش الصخرية الساسانية وأروعها. ويضم هذا النقش ست شخصيات هي: أردشير وهو يسقط أرتبان الخامس من فوق جواده برمحه الطويل، ثم شابور بن أردشير وهو يصيب وزير الملك البارثي برمحه ويسقطه عن جواده أيضاً، ثم تابع ساساني وهو يقبض على عنق تابع بارثي[٧١].

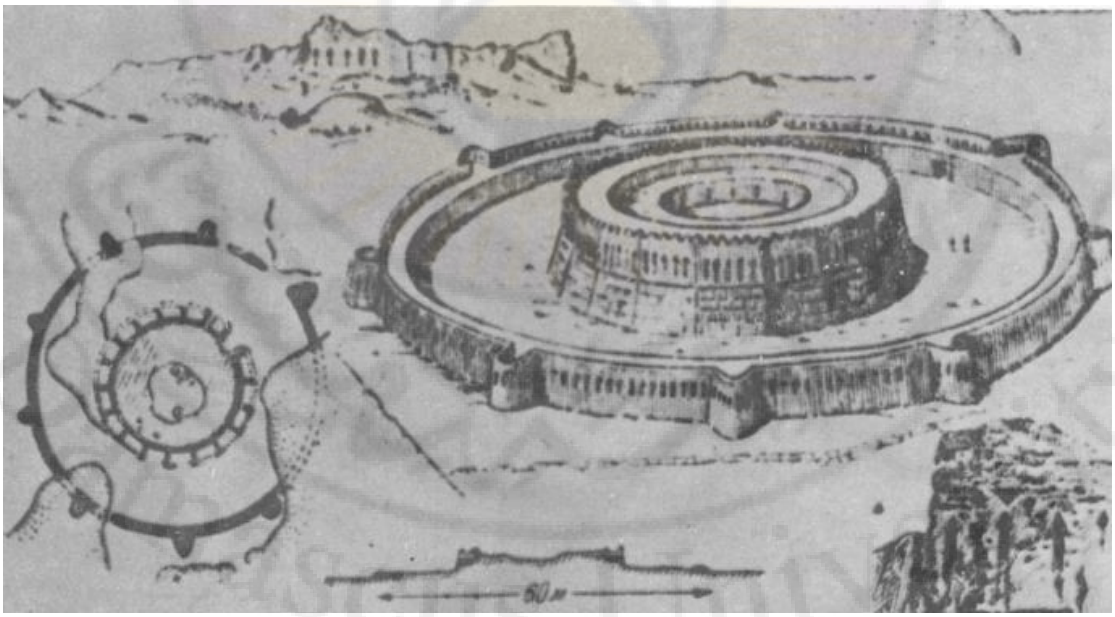

الشكل: ٣٠ مدينة ساسانية دائرية الشكل

[٦٩] أسس أردشير عاصمته الأولى جور/فيروز آباد في جنوبي إيران. وبعد توسع الدولة اتخذ من مدائن (قطيسفون) عاصمة سياسية كبرى، وأسس مدينة وه-أردشير كضاحية رئيسية لها على الضفة الغربية لدجلة.

[٧٠] فيروز آباد تقع في جنوب غربي شيراز.

[٧١] المرجع السابق نفسه، ص.٢٩٥.

الفن الساساني تحت حكم شابور الأول (النصف الثاني من القرن الثالث):

شيد شابور بن أردشير **قصراً** عظيماً وفق الطراز البارثي في العاصمة الكلدانية المدائن (**طيسفون**) قرب بغداد، وسط مدينة ذات تخطيط دائري. ولكنه انهار خلال الحرب العالمية الأولى.

كما شيد شابور مدينة ثانية أطلق عليها اسم شابور الجميلة (بيشابور) وجعلها مستطيلة الشكل مقسمة إلى أحياء منفصلة ذات شوارع مستقيمة متقاطعة. وخصص أحد أحيائها للمباني الملكية التي أقامها على نمط النظام الإيراني القديم المتميز بروعة تصميمه وجماله. وزين جدران القاعة الكبرى في القصر بلوحات الفسيفساء، التي صورت عدداً من أقارب الملك والمقربين إليه ونافخات الناي وعازفات القيثارة وناظمات الأكاليل، وسيدات البلاط الملكي إما واقفات أو متكئات على الوسائد (الشكل:٣١). تميزت مدينة شابور بالتنظيم والتنسيق، إذ قسمت إلى أحياء أقام الأمراء في بعضها قوراً، وارتفع عند تقاطع الطريقين الرئيسيين نب تكاري كان يعلوه تمثال الملك شابور ويقوم إلى جانبيه هيكلان للنار.

سجل شابور الأول انتصاراته على جيوش الرومان في **نقوش خمسة** رائعة، أقيم **الأول** (**الشكل**:٣٢) منها على الضفة اليسرى من نهر شابور، وهو يسجل انتصاراته الثلاثة على الأباطرة جورديان الثالث وفيليب العربي وفاليريانوس حيث يتوسط أعداءه ممتطياً جواده، أضخم حجماً من بقية الشخوص. ويركع فيليب العربي أمام قدمي الملك يطلب الأمان، بينما يمسك الملك المنتصر بيد فاليريانوس المختفية داخل كمه إشارة إلى الخضوع والاحترام[٧٢].

وهناك رصيعة منحوتة (**الشكل**:٣٣) بمتحف دار الكتب القومية بباريس تعد تكراراً لموضوع النقش السابق، يمسك فيه شابور بيد فاليريانوس الذي شهر بيده الأخرى سيفه.

ويجمع **النقش الثالث** (الشكل:٣٤) بين النصر والتنصيب، ونرى فيه الإله وشابور على جواديهما وحوافر جواد الإله تدوس رأس أهريمن إله الشر، وجواد شابور واقفاً على جسد الإمبراطور الروماني جورديان وقد ركع الإمبراطور فيليب العربي الأصل بين الفارسين يطلب الرحمة والأمان.

وجاء **النقش الرابع** أسفل مقبرة داريوش بمدينة نقش رستم. ويمثل فيليب العربي وهو يستعطف الملك الذي أمسك بذراعي الإمبراطور فاليريانوس المرفوعتين، وقد أخفى إحدى يديه في كمه تعبيراً عن احترامه وخضوعه.

[٧٢] المرجع السابق نفسه ص ص.٣٠٢-٣٠٣.

وفي **النقش الخامس** حاول الفنان صف نبلاء الفرس وأسرى الرومان في شكل هرمي متدرج أمام الملك المنتصر وأعدائه المهزومين، كي يتخلص من الأسلوب التقليدي في توزيع الأشخاص على صفوف[٧٣].

الشكل: ٣١، بيشابور، سيدة متكئة على وسادة. فسيفساء، النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي.

[٧٣] المرجع السابق نفسه ص ص.٣٠٣-٣٠٤.

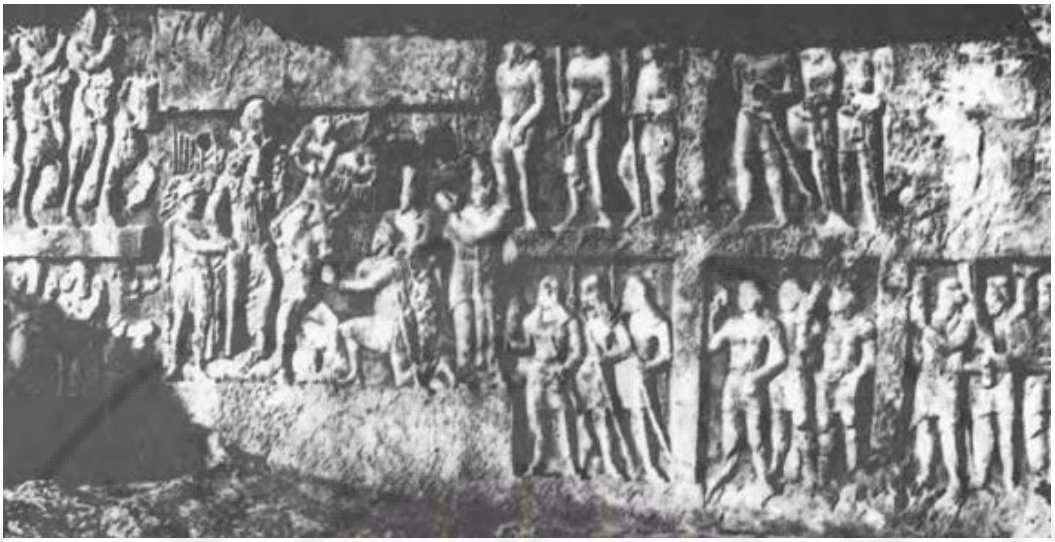

الشكل: ٣٢ بيشابور، انتصار شابور الأول.

الشكل:٣٣ رصيعة تصور انتصار شابور الأول على الامبراطور فاليريانوس الروماني

Damascus University

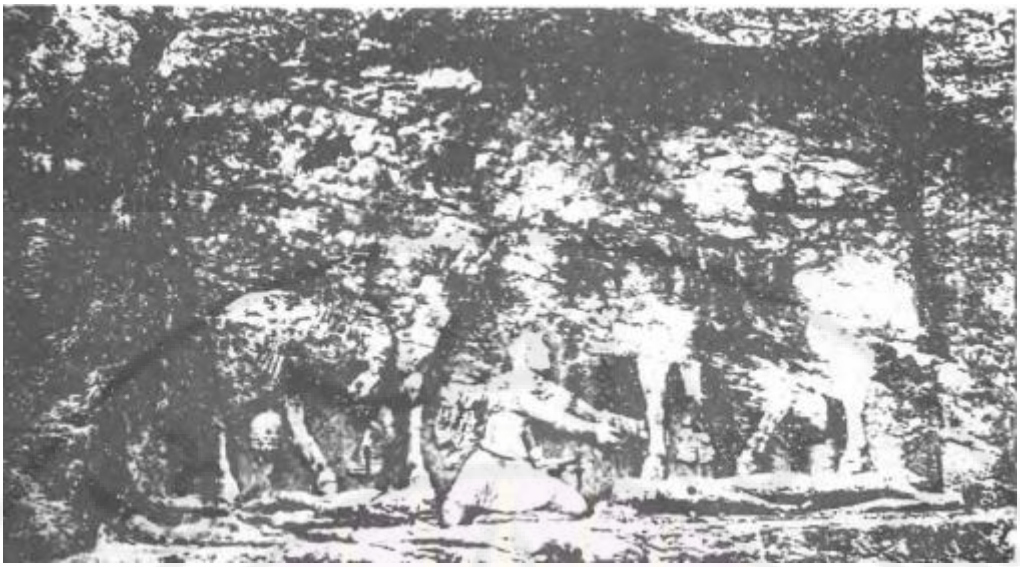

الشكل: ٣٤ انتصار الملك شابور الأول

الفن الساساني تحت حكم شابور الثاني وخلفائه (القرنان الرابع والخامس):

بنى شابور الثاني- بعد تدمير سوسة- مدينة إيوان كرخه على مسافة ٢٥كم جنوبي سوسة على الطراز الغربي، وجعلها مستطيلة الشكل. وشيد بالآجر والمونة قصراً.

كما حرص الساسانيون على تجميل مبانيهم بالجص، فكانوا يكسون جدرانها به أولاً، ثم ينجزون رسومهم فوقه. وكانت أكثر تصاوير الساسانيين تسجل معارك الصيد والحرب التي تراق فيها الدماء، مثل اللوحة الجدارية (الشكل:٣٥) التي عثر عليها في أنقاض مدينة سوسة التي قضى الملك شابور الثاني بتدميرها بعد تمرد المسيحيين بها، وتصور اللوحة فارسين حجمهما ضعف الحجم العادي، وما يطاردان قطيعاً من الغزلان التي أصيب بعضها بجراح وقتل بعضها الآخر.

ولعل أهم مشاهد الصيد التي ترجع إلى عصر الساسانيين هو مشهد الملك وهو يصيد الخنازير البرية في طاق بستان (**الشكل**:٣٦ أ-ب) حيث يقف في قارب يتهادى به على سطح بحيرة مصوباً سهمه إلى الخنازير البرية، وتمضي عازفات الموسيقى في ركابه بينما تحمل الفيلة الحيوانات التي يصيدها.

ويبدو أن إقليم فارس لم يعد يحتل المكانة الأولى في حياة الساسانيين في نهاية القرن الرابع، فقد آثر أردشير الثاني (٣٧٩-٣٨٣) ومن خلفه في الحكم صخرة طاق بستان

التي تقع خلف إحدى البحيرات إلى الغرب في كرمنشاه لتسجيل أحداث عهدهم. وقد نقش بها مشهد تنصيب أردشير الثاني (**الشكل**: ٣٧)[٧٤].

الشكل: ٣٥ سوسة، تصوير جداري مطاردة قطيع من الغزلان

[٧٤] المرجع السابق نفسه ص ص.٣١٩-٣٢٠

الشكل: ٣٦ـ أ مشهد صيد الخنازير البرية

Damascus University

الشكل: ٣٦ـب مشهد صيد الخنازير البرية

ومع تزايد الثراء في المجتمع الساساني، وخاصة في عهد الملوك الذين يحملون اسم خسرو/كسرى أخذ الفن ينفذ إلى صناعة النسيج وأدوات المائدة إلى جانب فن صياغة الحلي وسك العملات النقدية والحفر الدقيق على الحجر[٧٥].

أخيراً، ومع تراجع الإمبراطورية الساسانية، اختفت إيران من خريطة العالم لأكثر من خمسمائة عام، ومن ثمّ أصبحت جزءاً من العالم الإسلامي بعد دخول الجيوش الإسلامية إليها.

[٧٥] المرجع السابق نفسه ص.٣٢١.

المراجع العربية:

عكاشة، ثروت، ١٩٨٩: *موسوعة تاريخ الفن: العين تسمع والأذن ترى، الفن الفارسي القديم*، الجزء الثامن، الطبعة الأولى، دار المستقبل العربي، مصر الجديدة.

كاتوزيان، هوما، ٢٠٠٩: *الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة*، ترجمة أحمد حسن المعيني، الطبعة الأولى، جداول.

المراجع الأجنبية:

Benzel K., Graff B. S., et als. 2010**: Art of the Ancient Near East**, by The Metropolitan Museum of Art, New York Published by The Metropolitan Museum of Art, New York.

Cameron G. G., 1936: *History of Early Iran*, The University of Chicago Press, Chicago. Illinois, p.1., (Girshman R., 1954: **Iran, From the Earliest Times to the Islamic Conquest**, Great Britain.

Mojtahed-Zadeh P., 2007: "Iran: *An Old Civilization and a New Nation State*", in, ***FOCUS on Geography***, Vol.49, No.4, pp.20-32.